الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

Democratic and Popular Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Ali KAFI- University of Tindouf

وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمي

جامعـة علـي كافـي تنـــدوف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس: علوم القرآن

مقدمة لطلبة السنة الأولى ليسانس اللغة والأدب العربي

إعداد الدكتور: محمود كريفار

السنة الجامعية: 1447/1448هـ – 2025/2026

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

المقدمة.....01

بطاقة تعريفية للمادة.....02

المحاضرة 01 تعريفات 03
المحاضرة 02 تاريخ القرآن..... 22
المحاضرة 03 جمع القرآن الكريم..... 30
المحاضرة 04: مكونات النص القرآني..... 39
المحاضرة 05 القصة القرآنية..... 48
المحاضرة 06 سياقات النص القرآني 52
المحاضرة 07: السياق التراتبي..... 57
المحاضرة 08: السياق التداولي: القراءات القرآنية..... 65
المحاضرة :09 مناهج التفسير ونقدها 72
المحاضرة 10: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي 77
المحاضرة 11: التفسير اللغوي 81
المحاضرة 12 التفسير البياني والأدبي..... 85
المحاضرة 13: الإعجاز اللغوي والبياني..... 90
المحاضرة 14: الإعجاز الإخباري والتشريعي 97
الخاتمة..... 101
قائمة المراجع والمصادر 102

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد؛

هذه مجموعة محاضرات في مادة علوم القرآن ألقيتها على طلبة السنة الأولى ليسانس نظام (ل م د) معهد اللغة والأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي بالمركز الجامعي علي كافي تندوف خلال عدة سنوات جامعية. والتي أصبحت حاليا جامعة علي كافي تندوف، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي.

وقد حاولت فيها دراسة تاريخ القرآن الكريم، والتعريف به وإعجازه، وقراءاته، وعلومه، وأهم المناهج التفسير، مع التعريف ببعض الكتب المهمة التي تمثل هذا المنهج، وذلك تبعا للبرنامج المقدم. قد يسر الله سبحانه وتعالى جمعها وتأليفها حتى خرج إلى هذا المخرج ، وقد حافظت فيها على البرنامج المسطر والمقرر لطلبة السنة الأولى السداسي الأول ضمن عرض التكوين والموزعة على أربعة عشر محاضرة، حيث انتهجت فيها أسلوبا ميسرا وواضحا يجعل الطلبة يتمكنون من قراءتها وفهمها فهما جيدا.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد وأن يتقبل عملنا هذا وينفع به طلبة العلم وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

بطاقة تعريفية للمادة

اسم المادة: علوم القرآن

الفئة المستهدفة: السنة الأولى ليسانس ل م د

وحدة التعليم الاستكشافية

الرصيد: 01

المعامل: 01

أهداف مادة علوم القرآن:

- إبراز العلاقة بين القرآن الكريم والدراسات اللغوية والأدبية.

- الإلمام ببعض أنواع علوم القرآن الكريم التي تمكن الطالب من الفهم السليم للقرآن.

- تزويد الطالب بالخلفيات التاريخية التي تمكنه من الوقوف على جهود علماء الأمة في حفظ كتاب الله من التغيير والتبديل.

- تشجيع الطلبة على تعلم القرآن الكريم ونشر علومه والدفاع عنه.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة

- الزركشي، البرهان في علوم القرآن.

- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

- حازم حيدر، علوم القرآن بين البرهان والإتقان.

- ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان.

كما يمكن الاستفادة من شبكة الأنترنت والمواقع الإلكترونية الجادة والتي لها علاقة واهتمام بالقرآن الكريم وعلومه.

المحاضرة الأولى (01): تعريفات

أولا التعريف بالقرآن الكريم

أ: تعريف اللغوي للقران:

عرّف العلماء القرآن على خمسه أقوال[1]

* **القول الأول**: كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرأ بمعنى: تلا فكلمة القرآن مصدر الفعل قرأ، وهو يرادف المصدر، قراءة بمعنى تلاوة.

فالقرآن والقراءة مصدران بمعنى واحد وهو التلاوة.

وسمي المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. والقرآن هنا على وزن فعلان: كالبرهان، من برهنه برهانا. وكالغفران من غفر غفرانا.

دليل هذا القول: قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[2].

يعنى إنا علينا جمعه اي حفظه، وقرآنه أي تلاوته، فإذا قرأناه اي تلوناه فاتبع القران كما تلونه.

من القائلين بهذا القول (اللحياني) هو أبو الحسن علي بن حازم اللغوي المتوفي سنه 215 هـ رحمه الله.

* **القول الثاني**: كلمة القرآن مشتقة أيضا من الفعل قرأ بمعنى جمع، وهو يرادف المصدر قرءا بمعنى: جمعا.

فالقرآن، والقرء مصدران للفعل قرأ بمعنى واحد هو الجمع، كي جمع الحروف والكلمات الى بعضها في الترتيب.

والقرآن هنا مصدر على وزن فعلان، ولكن بمعنى الجمع، وليس التلاوة، ومنه القول: قرأ الماء في الحوض أي جمعه في الحوض.

دليل هذا القول أن معنى القرآن هنا الجمع، على اعتبار أنه يجمع علوم الكتب السماوية، وسائر العلوم كلها مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾.[3]

من القائلين بهذا القول: (الزجاج)، وهو أبو اسحاق ابراهيم بن السري الذي توفي 311 هـ رحمه الله.

فالقرآن بالنسبة للقولين السابقين مصدر مهموس، لأنه مشتق من الفعل قرأ فيقرأ بالهمز.

1- الغازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن، ج1، دار الشهاب، باتنة، الجزائر ص20.

[2] - سورة القيامة: الآية 16 -18.

[3] - سورة النحل: الآية 89.

* **القول الثالث:** كلمه القرآن مشتقة من الفعل قرن بمعنى ضم، وهو يرادف المصدر قرنا، بمعنى ضما.

في القرآن والقرن مصدران بمعنى واحد وهو الضم، أي ضم الشيء الى الشيء.

ودليل هذا القول قال العلماء على اعتبار أن السور والآيات تقرن إلى بعضها البعض، أي تضم إلى بعضها البعض.

من القائلين بهذا القول أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي توفي 324 هـ رحمه الله.

***القول الرابع:** كلمه القرآن مشتقة أيضا من الفعل قرن، ولكن بمعنى دل على أو أشار إلى. فهو يرادف المصدر قرينة، وجمعها قرائن. قال العلماء: كلمة القرآن مشتقة من القرائن.

ودليل العلماء في ذلك: على اعتبار أن آيات القرآن قرائن على بعضها البعض، أي دالة على بعضها البعض ومشيرة إلى بعضها البعض شبها، وتناسقا. ومن القائلين بهذا القول: (الفراء ابو زكريا يحي زياد الدايلمي النحوي الكوفي)، (ت 207هـ) -رحمه الله-

* **القول الخامس:** إنّ كلمة القرآن جامدة وغير مشتقة، وليس لها أصل اشتقاقي. وقع القول على أن كلمة القرآن وقع الارتجال فيها بإطلاقها على كلام الله النازل مثل كلمة التوراة، وكلمة الإنجيل وكلمة الزبور.

فالقرآن كلمة نزل بها القرآن هكذا، وفهمها العرب دون أن يجدوا لها أصلا اشتقاقيا.

ومن القائلين بهذا القول (الامام الشافعي) (ت 204هـ) - رحمه الله- ودليل هذا القول قال العلماء: لو كان القرآن مشتقا من الفعل قرأ لأمكن إطلاقه على كل ما هو مقروء، ولو كان تأليفا بشريا وذلك لا يجوز.[1]

وسمه بالمصحف: أطلق اسم المصحف على القران الكريم (بكر الصديق) - رضي الله عنه-؛ فقط ذكروا أنه لما جمع القرآن قال سموه:" السفر": أي الكتاب، كلمة مستعملة أيضا في التوراة.

فكرهوا التسمية لهذا السبب كذلك. فقال (الله بن مسعود) - رضي الله عنه- وكان من كتبة القران-"رأيت للحبشة كتابا يدعونه، المصحف فسموه به....." ذكر هذه الرواية (الزركشي) في كتابه البرهان.

ب- التعريف الاصطلاحي للقران الكريم:

-إنّ للقرآن الكريم عدة تعريفات اصطلاحية، تعتبر موضع قبول بين علماء القرآن، إلا أن هناك تعريفا بين هذه التعريفات أكثر إحاطة ودقة وهو الذي اختاره علماء الأصول، حتى صار موضع إجماع؛ هذا التعريف يقول:" القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام

1 - جملات عيد محمدو أبوناصر، لفظة القرآن في القرآن الكريم، دراسة الموضوعية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011، ص4-5.

المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس.[1]

تحليل التعريف الاصطلاحي:

بإمكاننا تحليل هذا التعريف إلى عناصره التالية:

***العنصر الأول:** القرآن كلام الله تعالى. قال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾.[3]

وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾.[4]

وبهذا العنصر يستثنى كلام غير الله، وهي المخلوقات، فلا يسمى قرانا: كالملائكة، والجن، والانس، فلا يسمى كلامهم قرانا، وان، ومهما تم في بيانه، وفصاحته، ومعناه، فكلام الانبياء لا يسمى قرانا، ومن ثم في الحديث النبوي لا يسمى قرانا. فكلام الله يستثنى كلام الانس والملائكة والرسل والحديث النبوي.

* **العنصر الثاني:** القران كلام عربي:

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾.[5]

وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾.[6]

وقال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾.[7]

كما يستثني بهذا العنصر كل ترجمة القرآن، ترجمة القرآن إلى لغات أخرى لا تسمى قرآنا، ومن ثم لا يجوز التعبد بها، ولا تجوز قراءتها في الصلاة، وإنما هي ترجمة تفسير، أو ترجمة لمعاني القرآن؛ حيث لا توجد لغة أخرى تضاهي اللغة العربية في غناها اللغوي، والاشتقاقي، والتعبير عن المعاني، ومما تنفرد به اللغة العربية على سبيل المثال: هو كون تقديم المفعول به على الفعل يفيد الاختصاص المطلق كما في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.[8]

---

1 – غازي عناية، مرجع سابق، ص22.

2 – سورة التوبة: الآية 6.

3 – سورة النمل: الآية 6.

4 – سورة الزمر: الآية: 23.

5 – سورة يوسف: الآية 2.

6 – سورة فصلت: الآية 3.

7 – سورة الزخرف: الآية 3.

8 – سورة الفاتحة: الآية 3.

* **العنصر الثالث**: القرآن موحى به، وذلك بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام الذي اختصه الله من دون الملائكة بإنزال الكتب السماوية كلها، ومنها القرآن على الأنبياء والرسل.

قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾.[2]

ويستثنى بهذا العنصر كل ما أوحي به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بغير أمين الوحي جبريل: كالإلهام والرؤيا في المنام؛ فالقرآن جميعه أوحي به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل، وفي حاله اليقظة وفي هيئة صلصة الجرس.

بواسطة الأمين جبريل: لأن جبريل عليه السلام أمين الوحي، فهو الواسطة في تبليغ الوحي الإلهي.

* **العنصر الرابع**: المكتوب في المصاحف: فلا يسمى قرآنا إلا كلام الله الموجود بين دفتي المصحف أما التفاسير فهي كتب تفسير او تأويل وليست قرآنا.

* **العنصر الخامس**: القرآن منزل على الرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾.[4]

وقال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾.[5]

***العنصر السادس**: القرآن قطعي الثبوت منقول بالتواتر؛ **المنقول إلينا من التواتر**:

التواتر هو نقل جماعة عدول عن جماعة عدول مثلهم يستحيل تواطؤهم على كذب، وهو أصح طرق إثبات الخبر أو العلم. فأكثر الحقائق العلمية والجغرافية هي مسلمه راسخة لدينا، رغم أننا لسنا شهودا على حقيقتها، فاليقين فيها بالنسبة إلينا إنما سببه التواتر.

***العنصر السابع: المعجز**: الإعجاز هو التحدي والإيمان. فالمعجز: المتحدي به فيخرج من ذلك الحديث القدسي والسنة النبوية لان الاعجاز بهذا المعنى مختصر على القرآن.

* **العنصر الثامن**: المحفوظ في الصدور: إذ ليس هناك كلام له تأثيره النفسي والروحي مثل القرآن، لذلك فهو يتميز تماما عن كل كلام آخر في الصدر.[6]

---

[1] – سورة النجم: الآية 4.

[2] – سورة الشعراء: الآية 193.

3 – غازي عناية، مرجع سابق، ص24-25.

[4] – سورة الكهف: الآية 1.

[5] – سورة الفرقان: الآية 1.

6 – غازي عناية، مرجع سابق، ص26-27.

* **العنصر التاسع**: المتعبد بتلاوته: لأن قراءة القرآن بحد ذاتها عبادة ينال بها الثواب.

* **العنصر العاشر**: المبدوء بسورة الفاتحة؛ لأن فاتحة الكتاب هي غرته ومطلعه فهي أم الكتاب.

* **العنصر الحادي عشر**: المختتم بسورة الناس: فسورة الناس هي خاتمة المطاف (114) لذلك فهي معلم من معالم هذا التعريف.

ثانيا: فضل القرآن ومنزلته:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول الإسلامي في العقائد والمفاهيم والقيم والموازين والشعائر والشرائع والأخلاق والآداب، كل هذا قد وضع له القرآن الكريم أسسا، وجاءت السنة النبوية الصحيحة فبينت وفصلت. كما يعد القرآن الكريم مصدر المعرفة، والتربية، والتوجيه، والتكوين الوحيد للجيل القرآني الفريد الذي تلقاه للتنفيذ وليس للترنم والترتيل فقط.

قال عز من قائل: ﴿**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.[1]

وقد كان القرآن الكريم عاملا أساسيا وسببا في إسلام الكثير من الصحابة رضي الله عنهم، فقد سحرهم بفصاحته التي ليست لها نظير، ومن ذلك ما حدث لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع سورة طه، وعتبة ابن ربيعة لما فزع عند سماعه سورة فصلت، وما تردد بلغاء العرب على الاماكن التي يتعبد فيها النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ليسمعوا هذه البلاغة خفية، وما عجزهم بعد التحدي، إلا دليل الإعجاز وعظمة البيان وجلال الأسلوب.[2]

ودفع القرآن الكريم العرب وغيرهم من العجم ليتسابقوا في تعلم العربية، وتعليمها وإجادتها، ومحاكاة بيانها والعناية بها وخدمتها في شتى المجالات، بل شارك علماء العربية في علوم القرآن المختلفة، وعلوم الشريعة من الفقه وأصوله وحديث وشرحه، وعلم القراءات والناسخ والمنسوخ، والرسم القرآني وأسباب النزول ...الخ.

إنّ القرآن الكريم هو الذي أخرج فصحاء العرب، وأصحاب المقامات والرسائل وغيرها، أمثال ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب والهمداني.[3]

---

[1] – سورة الأعراف: الآية 203.

2 – البرماني الخطابي، وعبد القادر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله احمد، محمد زغلول، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1976، ص 71.

3 – محمود عبد الوهاب فايد، التربية في كتاب الله، دار الاعتصام، القاهرة، 1978، ص 53-54.

وقد كان القرآن الكريم سببا في اكتساب العلماء والأدباء الكتابة والفصاحة، فإننا نجد أكثر الناس تعبيرا عن المعاني بأفصح الألفاظ من امتلك نصيبا وافرا من حفظ القرآن وما أجمل قول القائل:

هذا هو القرآن نبراس الهدى دستورك الأسماء المنير المشرقي

آياته نبع العلوم جميعها من قال لا فهو الغبي الاخرق

علم الطبيعة والحياة وحكمه الـ إيجاب من تبيانه لتدفق

وسياسة الدنيا بأقوم شرعة بين الورى بسواه لا تتحقق

فيه القضاء لحل كل قضية عن حلها أهل السياسة أخفقوا

لأجل ذلك عنت الأمة الإسلامية عناية فائقة بالقرآن الكريم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا فحفظوا لفظه، وفهموا معناه، وبحثوا في أسراره وفي جل نواحيه، وألفوا في ذلك المؤلفات القديمة، فمنهم من ألف في تفسيره ومنهم من ألف في رسمه وقراءته، وفي استنباط أحكامه وفي أسباب نزوله وفي إعجازه وفي أمثاله وفي غريبه وفي إعرابه وفي قصصه، وحوله وعنه كتبت وتكتب مقالات كثيرة في الكثير من المجالات والجرائد وعقدت وتعقد مؤتمرات وملتقيات وندوات، وألقيت وتلقى محاضرات ودروس، وأقيمت وتقام مسابقات وحفلات، وأنشأت وتنشأ مواقع الكترونية، ووضعت وتوضع برامج تعليمية في مختلف المؤسسات التكوينية والتربوية بمختلف مستوياتها وتخصصاتها.

حيث روي عن الوليد ابن المغيرة لما سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم تأثر تأثرا بالغا فجاء إلى قومه بني مخزوم وقال لهم: والله لقد سمعت من محمد آنفا (أي سابقا) كلاما ما هو بكلام الإنس ولا من كلام الجن والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة (الحسن والبهجة) وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق كثير الماء وانه لا يعلو ولا يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش: (صبأ والله الوليد).[1]

قال العلامة الزرقاني في مناهل الفرقان[2]:

"وها قد مرت على اللغة العربية من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة بين علو ونزول واتساع وانقباض وحركة وجمود وحضارة وبداوة والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه يطل على الجميع من سمائه وهو يشع نورا وهداية ويفيض عذوبه وجلالة، ويسيل رقة وجزالة، ويرف جده وطلاوة ولا يزال كما كان غضا

1- الزمخشري الكشاف، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ، ص649.

2 – الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995، ص 229.

وطريا يحمل راية الإعجاز ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة قائلا في صراحة الحق وقوته وسلطان الإعجاز وصولته: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾.[1]

قال العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: في كتابه (من روائع القرآن)[2] " إقرأ ما شئت من سور القرآن وآياته، تجد أن كلا من جانبي اللفظ والمعنى فيه متوافقان أتم ما يكون الوفاق والتطابق، لا تشعر أن حرفا واحدا يفيض في جانب اللفظ عن المعنى، ولا تشعر أن أي جانب في المعنى – مهما دق ونطق – قد تقاصر اللفظ أو التعبير عن الدلالة عليه.

هذا هو مصدر الإعجاز البلاغي في كتاب الله تعالى، "وقال أيضا في ص 111." وأول من يطالعك من مظاهر أسلوب القرآن لدى النظر فيه، أنه يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم، وله أسلوب خاص به لا تجد منه عند أي فن من الفنون العربية المعهودة".

***موقف بعض أعلام الفكر العربي من اعجاز القرآن:**

يعترف كل من كتاب الغرب ومفكريه، بما فيهم المتعصبين بسمو وعلو مكانة القرآن ونصوصهم في ذلك كثيرة دالة عن دهشتهم العميقة من قوة تأثيره، وعظم فعاليته.

* كتب (مانويل كينج) وهو من أفاضل العلماء الإنجليز ومشاهير مفكريها في صحيفة (نير إيست) عدد 13 أكتوبر 1922: "إن القران كتاب معجز وخليق بالإعجاز من حيث التنزيل والترتيل مع أن لسان القرآن مخالف للساننا وآراؤه تخالف آرائنا، ولا يمكن إنكار قدره وقيمته وفضله وجماله من جهات كثيرة وإلا كان ذلك الإنكار حرمانا من العقل والمنطق".

* ويقول الفيلسوف الفرنسي المعروف (آليكسي دوازون) في كتابه (حياة محمد) "خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة، وسجل الأخلاق، وكتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا (أو المكتشفات الحديثة) مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن، والقوانين الطبيعية مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية".

---

[1] – سورة الإسراء: الآية 88.

2 – محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القران، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت، 2003، ص 139.

ثالثا أسمائه وصفاته

أ- أسماء القرآن

إن للقرآن الكريم عدة أسماء دالة على شرفه وعلو منزلته، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعلو قدره، وقد بلغت أسماء القرآن عند كثير من العلماء أكثر من 90 إسما، لكن الغالب إطلاق أسماء القرآن والكتاب في تسمية هذا الكتاب الكريم[1] قال القاضي (أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة) في كتاب البرهان: "اعلم ان الله سمى القرآن بـ 55 اسما"[2].

وهذه هي أشهر اسمائه[3]:

1- سماه الله تعالى قرآنا فقال: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾.[4] وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (58 مرة).

2- سماه الله تعالى كتابا فقال: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾.[5] وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (230 مرة).

3- سماه الله تعالى كلاما فقال: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.[6] (التوبة 6) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم (4 مرات).

4 - سماه الله تعالى ذكرا فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (63 مرة).

سماه الله تعالى (التنزيل، كلاما، الفرقان، الوحي، قصصا، روحا، مثاني).[7]

ب- أوصاف القرآن:

وصف الله عز وجل القرآن بأوصاف عدة منها:

1- وصفه بأنه الصراط مستقيم فقال: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.[8] وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (43 مرة).[9]

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1391 هـ، ص 273.

2 - المرجع السابق، ص 101.

3- غازي عناية، مرجع سابق، ص 31-33.

4 - سورة الواقعة: الآية 77.

5- سورة البقرة: الآية 2.

6 - سورة الحجر: الآية 9.

7- غازي عناية، مرجع سابق، ص 34-35.

8 - سورة الأنعام: الآية 153.

9 - غازي عناية، مرجع سابق، ص ص37.

2-وصفه بأنه بصائر فقال: ﴿**هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾.[1]وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (5 مرات).

- وصفه بأنه: (الحق، الصدق، مبارك، بلاغ، تذكرة، علم، فصل، نور).[2]

نال القرآن الكريم منزلة كبرى وعظمى في كل النواحي والمجالات، فكان بحق الكتاب الخالد والمعجزة الكبرى والحجة البالغة؛ وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد ذلك، وحسبنا من ذلك ما روى عن علي_ رضي الله عنه قال: سمعت صلى الله عليه وسلم يقول:" ستكون فتن كقطع الليل المظلم" قلت يا رسول الله ما المخرج منها؟ قال: "كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم، هو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع من العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علم بعلمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"[3].

رابعا: مفهوم علوم القرآن وأهميتها

أ- مصطلح علوم القرآن:

لقد كان اهتمام المسلمين بالقرآن نفسه، أي من حيث الحفظ والفهم والعمل بأحكامه وتوجيهاته وإرشاداته. هذا هو الوجيه أو المنهج الذي كان سائدا بين أجيال مجتمعات المسلمين الأوائل، ولم يكن هناك مصطلح باسم (علوم القرآن) . فألوان العلوم الإسلامية عامة لم تنشأ باكرا، أو بصورة مواكبة لنزول الوحي بسبب أن الصحابة والمسلمين الأوائل كانوا يتذوقون الأساليب الرفيعة، ويفهمون بيسر مقاصد الشارع وأسرار التشريع وغايات التكليف، فإذا أشكل عليهم فهم شيء ما سألوا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] - سورة الجاثية: الآية 20.

2 - غازي عناي، مرجع سابق، ص37.

3 الترمذي، سنن الترمذي، ج 10، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص147.

ظهرت بعض المعارف المتعلقة بالقرآن، وذلك بعد انتشار الكتابة بين المسلمين وكان قبل ذلك تتناقل مشافهة بين العلماء والرواة، وفي مقدمة تلك المعارف: معاني القرآن وغريب القرآن، والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ، وإعراب القرآن.... إلخ.

وذكر بعض مؤرخي العلوم أن أول من استعمل مصطلح علوم القرآن هو علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي) (ت 430هـ) ... ولكن (ابن النديم) ذكر في كتابه "الفهرست" أن (ابن المرزبان) هو أول من استعمل هذا المصطلح خلال القرن الثالث الهجري، وذلك من خلال مصنفه الحاوي في علوم القرآن" الذي يقع في سبع وعشرين جزءا، لم يصلنا غير عنوانه. لكن منذ منتصف القرن الخامس الهجري ظهرت المؤلفات الموسوعية في علوم القرآن، واستمر التأليف في هذا الباب حتى هذا الوقت من تاريخنا. ونحن ندرك بأن مصطلح علوم القرآن صار علما ولقبا للمباحث والمعارف المدونة في موضوع القرآن بعد أن كانت مبعثرة في كتب كثيرة مثل كتب التفسير وغيرها. وصار علما واحدا بعد أن كان جملة علوم) علم المكي والمدني – علم الناسخ والمنسوخ – علم أسباب النزول... إلخ..... من هنا نستطيع القول بأن علوم القرآن: " علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، من حيث نزوله وترتيبه، وكتابته وجمعه، وقراءته وتفسيره، وإعجازه وبيانه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر ضمن هذا العلم.... وقد أبقى على لفظ علوم بالجمع، إشارة إلى أن المصطلح (علوم القرآن يشير إلى علوم كثيرة تجمعت في مصب واحد. لكن هذا المصطلح الجامع لم يمنع العلماء من الكتابة في جزئيات منه والتوسع فيها مثل المحكم والمتشابه والإعجاز ونحو ذلك. كما يقصد بعلوم القرآن الأبحاث التي تتعلق بكتاب الله المجيد الخالد من حيث النزول، والجمع والترتيب والتدوين ومعرفة أسباب النزول والمكي منه والمدني، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن الكريم أو لها صلة به... والغرض من هذه الدراسة فهم كلام الله عز وجل على ضوء ما جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام من توضيح وبيان وما نقل عن الصحابة والتابعين –رضوان الله عليهم أجمعين حول تفسيرهم لآيات القرآن، ومعرفة طريقة المفسرين وأساليبهم في التفسير، مع بيان مشاهيرهم ومعرفة خصائص كل من المفسرين وشروط التفسير، وغير ذلك من دقائق هذا العلم).[1]

ب– أهمية وأهداف دراسة مادة علوم القرآن الكريم

إنّ موضوع علوم القرآن الكريم من المواضيع المتقدمة في التاريخ والقرآن الكريم بعلومه المختلفة من العلوم المهمة والنافعة للإعتبارات التالية:

1– محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، دار البعث، قسنطينة 1986، ص6.

- ✓ زيادة الثقة واليقين بعظمة القرآن الكريم وإعجازه، وأحكامه.
- ✓ الوقوف على دقيق أسراره التي لا تنتهي.
- ✓ إدراك الجهود العظيمة عبر التاريخ التي بذلها العلماء لخدمة هذا الكتاب العظيم.
- ✓ التسلح بعلوم قيمة تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد كل الأباطيل والشبهات من كل الجهات.
- ✓ تقوية وازع الإيمان في نفوس المسلمين وحثهم على الاهتمام بالقرآن الكريم والدفاع عنه.
- ✓ نيل الأجر والثواب وتحقيق العبودية في الاهتمام بكتاب الله.
- ✓ كل مسلم يتعامل مع القرآن يحتاج إلى أن يعرف مفردات علوم القرآن وخصائصه، وكل ما له علاقة به.[1]

ودراسة علوم القرآن لها فوائد جليلة يمكن حصرها فيما يلي:

1. تساعد على فهم القرآن الكريم واستنباط الأحكام والآداب منه.
2. تزود الدارس بجملة من المعارف المتعلقة بالقرآن الكريم.
3. إن الدارس لهذه العلوم يتسلح بسلاح علمي قوي يمكنه من دحض مفتريات أعداء القرآن وفضح شبهاتهم وإبطال مزاعمهم وغير ذلك، لأن الدفاع عن القرآن الكريم من أوكد الواجبات على المسلم.
4. إن الدارس لهذه العلوم يكون ذا حظ كبير وقسط وفير من الثقافة القرآنية، وما اشتمل عليه القرآن من معارف وعلوم تزكي نفسه وتنور عقله.

خامسا: علاقة القرآن الكريم باللغة والأدب العربي

ربما يثور تساؤل حول أهمية وجدوى دراسة القرآن وعلومه المختلفة ضمن سياق التخصصات الأدبية بشتى فروعها. ولا شك أن التساؤل بحد ذاته في هذا الموضع مشروع من الناحية المنهجية على الأقل، وهو ما يقتضي وقفة توضيحية تكون مدخلا موضوعيا لهذا المساق الهام، كما تضع مضمونه المعرفي في إطاره الفكري الطبيعي كي تكون المقاصد العامة معلومة وواضحة في ذهن الدارس أو المنتسب لهذا التخصص.

إن التعرض لموضوعات القرآن الكريم في دراسة الأدب العربي واللغة العربية، لا ينطوي على شيء من الخلط بين الآداب والإسلاميات.. فالقرآن له أوجه شتى، كلها تصور للعقل الإنساني معجزته التي جعلها الله تعالى حجة تشهد له بأنه وحي الله، ورسالته الأبدية.

---

1 – بن عبد الله واسيني، محاضرات في مادة علوم القرآن، جامعة المسيلة، 2013، ص 6، عبد الفتاح القاضي من علوم القرآن الكريم، ط 1، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 2000، ص6-7.

فهناك الجانب التشريعي الذي لا ينفك عن الحاجة إلى دراسته واستيعابه كل دارس للفقه والتشريع والقضايا القانونية بصفة عامة، وهنالك أيضا جانب متعلق بقضايا العقيدة والسلوك والفلسفة والأخلاق، يحتاج إليه كل دارس لأصول الدين والمناهج الأخلاقية والفلسفية، بل كل دارس للعلوم الإنسانية والاجتماعية وإلى جانب ذلك هناك جانب أدبي أصيل في القرآن، وهذا الجانب تحديدا يعد بعيد الجذور في تاريخ الأدب العربي، عظيم الأثر في توجيهه وتطويره وتقويمه. من أجل ذلك كان لا بد لمن أراد دراسة الأدب العربي والتخصص في اللغة العربية والثقافة العربية أن يعكف على دراسة القرآن وعلومه، وهو كلما توسع في العلوم العربية وثقافتها احتاج مع ذلك إلى مزيد من التوسع في الدراسات القرآنية، فنحن نلاحظ في مجال النبوغ الأدبي واللغوي، أن الأدباء الذين تميزوا بعطائهم الأدبي والفكري العميق هم أولئك الذين لهم خلفية قوية بالقرآن حفظا ودراسة وفهما، وأبين مثال على ذلك: طه حسين والعقاد والرافعي والمنفلوطي... الخ.

إن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام، لأنها كانت ترجمانا لوحي الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته؛ فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا فيها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها.. لذلك سارعوا منذ الوهلة الأولى – بعد اعتناقهم الدين الجديد – إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها بل والتعصب لها والدفاع عنها.

وهذا هو السر في كون الذين نبغوا في العربية وآدابها وثقافتها وعلومها.. هم من أجناس وأعراق ليست عربية فولاؤهم للقرآن والوحي جعلهم ينافحون عن العرب والعربية، بل جعلهم ينظرون الى اللسان العربي على أساس أنه جزء من الوحي وركن من الرسالة الخاتمة.

يقول (أبو منصور الثعالبي) في كتابه" فقه اللغة وسر العربية ": " والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة (أي من الدين والفضل) إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر المناقب كالينبوع للماء... أو كالزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها وتصاريفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة وإثبات النبوة، التي هي عمدة الإيمان لكفى بها فضلا يحسن أثره ويطيب في الدارين ثمره.[1]

ويقول الإمام (جلال الدين السيوطي) في كتابه الشهير "المزهر في علوم اللغة ": " ولا شك أن علم اللغة من الدين، لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة."

1 – السيوطي، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تح: فؤاد علي منصور، ط 1، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 2.

وقال (الفارابي) في خطبة "ديوان الأدب": "القرآن كلام الله وتنزيله، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويذرون، ولا سبيل الى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة.[1]

ويمكن حصر دواعي علاقة القرآن الكريم باللغة والأدب العربي فيما يلي:

- على كل دارس للأدب العربي، والمتخصص في اللغة العربية والثقافة العربية، أن يعكف على دراسة القرآن وعلومه وكلما توسع في العلوم العربية وثقافتها احتاج مع ذلك إلى مزيد من التوسع في الدراسات القرآنية.
- إن الأدباء المشهورين بعطائهم العميق لهم خلفية قوية بالقرآن حفظا، ودراسة وفهما، ك: طه حسين، والعقاد والرافعي، والمنفلوطي والبشير الابراهيمي....
- مع نزول القرآن الكريم أصبح للعربية شأن آخر، وكرامة وخلود. وأصبح العرب يهتمون بها أكثر على أنها جزء من الوحي. وبعد اعتناق الدين الاسلامي يسارع المعتنقون إلى تعلم اللغة العربية والدفاع عنها، ولذلك ظهر نبغاء في العربية من غير العرب.
- القرآن الكريم هو أول كتاب ظهر في تاريخ اللغة العربية، وظهرت حركة التأليف والتدوين بعد ذلك متأثرة به.
- مع نزول القرآن الكريم إقتربت اللهجات العربية المختلفة وذابت مظاهر الخلاف بينها، وتلاقت كلها في لهجة عربية واحدة هي لسان قريش التي نزل بها القرآن.
- ليس للعرب قبل نزول القرآن مثلا يحتذون به في البلاغة والبيان، فكانت مذاهبهم شتى. ولما نزل القرآن والتفوا حوله سجدوا لبلاغته، وأجمعوا على اختلاف أذواقهم بأن هذا هو البيان الذي لا يصل إليه نقد، ولا يجاريه أحد. وأصبحت بلاغة القرآن هي أصل بلاغة كل نص وتعبير.
- اختفاء بنزول القرآن الكلمات الجافية، والثقيلة على السمع والمتوحشة عن ألسنة العرب رويدا رويدا، وأصبح متن اللغة العربية مطبوعا بالطابع العربي.

– أهم وجوه تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية:

القرآن هو السبب الرئيس في نشوء علوم اللغة العربية بدءا بالنحو الذي ظهر على يد أبي الأسود الدؤلي) بإيعاز من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصولا إلى العلوم الأخرى، حيث ظهرت مصنفات عديدة تقعد لعلوم اللغة، ككتاب (سبويه) الذي ضمنه العديد من الشواهد القرآنية.[2]

---

1 – المرجع نفسه، ج 2، ص 308

2– مساعد بن سليمان الطيار، أنواع التصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ط3، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1434هـ ص 45

- القرآن الكريم أدى إلى المحافظة على اللغة العربية يمثل القرآن الكريم الحصن المنيع الذي يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي تحاك ضد لغة القرآن. ورغم ما تعرض إليه العرب من مؤامرات، إلا أن اللغة العربية ما تزال باقية وموجودة، بفضل القرآن الكريم الذي تولى الله تعالى حفظه بنفسه. قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.[1]
- القرآن الكريم يساهم في تقوية اللغة العربية: قال عنها المستشرق (بروكلمان): بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطق بها الشعوب الاسلامية."[2]
- يساهم القرآن الكريم في توحيد لهجات العرب على لغة قريش يؤكد الدكتور (شوقي ضيف) هذا الأمر بقوله: "وأول" ما كان من آثار القرآن الكريم أنه جمع العرب على لهجة قريش[3] لقد كانت اللهجات العربية كثيرة ومختلفة. وقد نالت قريش الحظ الأوفر في ذلك، لذلك وجدنا الصحابي عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، ودعا إلى ذلك صراحة عندما أمر بكتابة المصحف بقوله: "اكتبوا هذه في مصحف وإن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القراءة فاكتبوها بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسان قريش."
- يجعل القرآن الكريم من اللغة العربية لغة عالمية: جاء الاسلام عالميا بلسان القرآن الكريم؛ لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت عالمية بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾.[4]
- يجعل القرآن الكريم من اللغة العربية لغة تعليمية: لقد كان العرب قبل نزول القرآن يتكلمون على السليقة، فلم يكونوا محتاجين إلى قواعد النحو والصرف لعدم حاجتهم إليها ولما اتسعت الفتوحات الاسلامية احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، وانتشر اللحن في قراء القرآن مما أدى بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب – رضي الله عنه – أن يأمر أبا الأسود الدولي بوضع قواعد النحو والتي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات.[5]
- يهذب القرآن ألكريم الفاض اللغة العربية: كان في لغة العرب قبل نزول القرآن الكريم الخشن والحوشي والغريب والأدب الجاهلي يشهد بذلك، لوجودهم في الصحراء، بما يؤكد أن الانسان ابن بيئته. وبفضل نزول القرآن

---

[1] – سورة الحجر: الآية 9.

2- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تح عبد الحليم النجار، ج 1، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص 56.

3- شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، ج 2، 24، دار المعارف، القاهرة 2014، ص 32

[4] – سورة الأنبياء: الآية 107.

5 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 236.

الكريم انتقل العرب من الجفاء إلى النعومة، ومن الذل إلى العز، ومن البداوة إلى الحضارة ومن الانفرادية إلى التوحد، ومن التقوقع إلى العالمية، ومن الحوشي والغريب إلى السهولة واليسر.

- القرآن الكريم خلد العربية بخلوده، مهما حاول الأعداء تحريفها.
- جعل القرآن الكريم الكتاب والخطباء والأدباء يحاكون الفاظ وأساليب القرآن.
- جعل القرآن الكريم العرب يحرصون على تتبع اللغة العربية وجمع شعرها وحكمها وألفاظها.
- شجع القرآن الكريم المسلمين على دراسة تاريخ الماضين من خلال قصص الأنبياء والسابقين.
- اشتمل القرآن الكريم على صور البيان والبديع كانت أساسا لنشأة علوم البلاغة.
- يظهر أثر القرآن الكريم في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحاديثه، وخطب الصحابة والتابعين ورسائلهم جمل متناسقة متخيرة الألفاظ حسنة التأليف رائعة التصوير، منطقية العرض تنفذ إلى أعماق العقل والقلب.

سادسا: بيان مفاهيم كل من الكتاب – الوحي – المعجزة – النبي

1– الكتاب[1]: إن الكتاب والقرآن في كلامنا لفظان مترادفان لدلالة كل منهما على ما بين دفتي المصحف، وهو الكتاب أي المكتوب، وهو القرآن أي المقروء، ولإثبات قصور هذا الإطلاق في كلامنا فإن من تفصيل الكتاب أن قد وردت للفظ الكتاب في المصحف عشرة معان بل أكثر سنذكر منها مايلي:

أولاها: بمعنى المكتوب كما في قوله:

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾.[2]

– **وثانيها:** بمعنى الفريضة على المكلفين كما في قوله: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾**.[3]

– وثالثها: اللوح المحفوظ كما في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.[4]

– ورابعها: الصحف التي سيؤتيها يوم يقوم الحساب صاحب اليمين بيمينه وصاحب الشمال بشماله وأشقى منه وراء ظهره كما في قوله:**﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يسيرا﴾**.[5]

---

1 – موقع Al-qaradawi.net تاريخ النشر: 2/06/2019

[2] – سورة البقرة: الآية 235.

[3] – سورة النساء: الآية 103.

[4]– سورة الحديد: الآية 22.

[5] – سورة الانشقاق: الآية 7.

– **وخامسها:** بمعنى الظرف المكاني الذي تنتقل إليه الأرواح والصور الرقمية المستنسخة من الأعمال بعد الموت أما أرواح الأبرار بعد موتهم فيصعد بها إلى عليين بعد أن تفتح لهم أبواب السماء فيجدون أمامهم أعمالهم الصالحة مستنسخة تعرض عليهم كأنما هي كتاب مرقوم أي لا يفرقون بينها وبينما عملوه في الدنيا أي هي صور مستنسخة من الأصل رقمية كما في قوله: ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عليينَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُوم يَشْهَدُهُ الْمُقربون**﴾.[1]

– **وسادسها:** كتاب كل أمة يوم القيامة كما في قوله:﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كَتابِهَا اليومَ تُجْزَونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابَنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا نستَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾. [2]

– **وسابعها:** الكتاب الذي أوتيه جميع النبيين والرسل قبل التوراة كما في قوله: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَبَ بِالْحَقِ لَحكُم بَينَ النَّاسِ فيما اختلفوا فيه**﴾.[3]

– **وثامنها:** وقوع لفظ الكتاب على التوراة أو الإنجيل أو هما معا كما في قوله:

﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**﴾.[4]

– **وتاسعها:** الكتاب المنزل على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كما في قوله: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالحَقّ لتَحكُمَ بينَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾.[5]

إن الكتاب الذي أوتيه النبيون والرسل قبل التوراة لا اختلاف بينه وبين الكتاب الذي تضمنه كل من التوراة والإنجيل والقرآن، لأن التوراة قد حوت الكتاب وزادت عليه نبوة موسى، وحوى الإنجيل الكتاب وزاد عليه نبوة عيسى، وحوى القرآن الكتاب وزاد عليه نبوة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ونبوة النبيين قبله كما في قوله: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ مُصَدِقاً لما بين يديهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهيمنا عليه**﴾.[6]

وإنما علم الرسل والنبيون قبل التوراة الكتاب غيبا فكانوا يعلمون أممهم منه بقدر استعدادهم للتلقي ثم أنزل الله الكتاب مع موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وتعبد الناس بدراسته ودرايته.

---

[1] – سورة المطففين: الآية 18– 21.

[2] – سورة الجاثية: الآية 28– 29.

[3] – سورة البقرة: الآية 213.

[4] – سورة الإسراء: الآية 4.

[5] – سورة النساء: الآية 105.

[6]– سورة المائدة: الآية 48.

-2- تعريف الوحي

أ – لغة: تدلّ مادة الوحي على معنى السرعة والخفاء، ويقال: وَحَى إليه وله " يَحي " وحيا أشار وأومأ إليه وأوحيت إليه إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، فكل ما تلقيه إلى غيرك خفية فهو من الوحي، قال (ابن فارس) في "مقاييس اللغة": " الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك

فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان.[1]

فالوحي في اللغة يعني الاعلام في خفاء بأي صورة كانت.

❖ **أنواع الوحي بالمعنى اللغوي:** ويدخل تحت المعنى اللغوي عدة دلالات منها:[2]

– الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾.[3]

– والإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِما يَعرِشُونَ**﴾.[4]

– الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾.[5]

– وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان ﴿**وَلاَ تَأْكُلُوا لِما لَمْ يُذكر اسم اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَاتِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾.[6]

– ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أني معكم فثبتوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ اللَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾.[7]

ب – اصطلاحا: عرف العلماء الوحي اصطلاحا بتعريفات عديدة[8] فمنهم من عرفه بأنه: "أن يعلم الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر."

ومنهم من عرف الوحي بأنه: "كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه."

---

1 – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، 1999، ج 6، ص93.

2 – الرازي، مختار الصحاح، تح محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1995، ص297.

3 – سورة القصص: الآية 7.

4– سورة النحل: الآية 68.

5 – سورة الأحزاب: الآية 42.

6 – سورة الأنعام: الآية 121.

7– سورة الأنفال: الآية 12.

8 – غازي عناية هدى الفرقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 48.

وعرفه (الزهري) بأنه: " ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به، ويكتبه، وهو كلام الله ومنه مالا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم.

ويمكن أن نستنتج من مختلف التعاريف الاصطلاحية للوحي ما يلي:

- أنه إعلام من الله، وأن الرسل والأنبياء يشعرون بوضوح بهذه الظاهرة.
- وإدراك النبي أو الرسول لما يلقي إليه دون أن يتدخل في مضمونه معنى ولفظا (إذا كان الوحي لفظا أيضا).
- اليقين القاطع بأن (الموحى) هو الله.
- أنه ناموس إلهي يتلقى به جميع الرسل والأنبياء ما يلقي إليهم من إعلام.
- الأنبياء والرسل هم من البشر اصطفاهم الله بالنبوة.
- الوحي هو وسيلة الإلهام الإلهي إن كان للملائكة أم للبشر.
- الرسل والأنبياء يشعرون بوضوح بظاهرة الوحي.
- إن ما يلقى به قد يكون كلاما ملفوظا، أي سبق كتابته في لوح محفوظ، وقد يكون معاني يمكن التصرف بآدائها بألفاظ من عند النبي وتبقى إرادته بعيدة عن كل تداخل في مضمون أو لفظ ما يلقي إليه بالوحي.

-3- تعريف المعجزة:

أ- لغة: بفتح الجيم وكسرها من العجز وهو عدم القدرة، وفي الحديث: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس."[1]

ب اصطلاحا: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.[2]

والقرآن الكريم معجزة الله الخالدة قد جاء على غير المألوف من كلام الناس المعتاد، فهو كلام عربي متميز فريد لا يضاهيه في العربية أي كلام لا في النثر ولا في الشعر ولا في سواهما، فهو إذا خارق للعادة، خارج عن المألوف مما يعهده العرب والناس من كلام.[3]

والإعجاز في اللغة العربية هو نسبة العجز إلى الغير قال تعالى: ﴿**أعجزتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي**﴾.[4]

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، ط 1، ج5، دار صادر، بيروت، 2010، ص 369.

2- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ط1، ج2، تح مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2010، ص116.

3- أمير عبد العزيز، إعجاز القرآن، ط1، جامعة النجاح، فلسطين، 2007، ص 10.

4 - سورة المائدة: الآية 31.

وتسمى المعجزة معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنها أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة. وإعجاز القرآن معناه إثبات عجز البشر – متفرقين ومجتمعين – عن الإتيان بمثله. وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق، وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام التي يعجز البشر عنها.[1]

4– النبي:

أ– لغة: مأخوذة من النباء أي الخبر. قال تعالى: ﴿**عَمْ يَتَسَاءَلُونَ**﴾.[2] أو من النبوة وهي مرتفعة من الأرض، يقال نبأ الشيء إذا ارتفع.

ب– اصطلاحا: اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه فالنبي عبد اصطفاه الله بالوحي إليه. أما الرسالة في اللغة فهي التوجيه بأمر ما، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه أو يقوم بما أمره به مرسله.

وفي الاصطلاح الشرعي: تكليف الله نبيا من أنبيائه بتبليغ شريعته للناس. فالرسول هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه.[3]

---

1 –محمد علي الصابوني التبيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 89.

2 – سورة النبأ: الآية 1.

3 عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، العقيدة الاسلامية وأسسها، ط 15 دار القلم، دمشق، 2010، ص 266-267.

المحاضرة الثانية (02): تاريخ القرآن

أولا: كيفية تلقي الوحي

بيّنت السنة النبوية الصحيحة هيئات الوحي جبريل عليه السلام بالقرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " إن الحارث بن هشام –رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس –وهو أشده علي– فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول[1].

ولقد أورد علماء القرآن الروايات التي تثبت موضوع تلقي الوحي، والتي تنص على أن وحي الله تعالى لرسوله كان على ثلاث هيئات وهي:

–1 الهيئة الأولى: صلصلة الجرس (دوي هائل فإذا سمع الرسول هذه الصلاصل سكت وأدرك أنه الوحي ... وكان الصحابة الذين يجالسونه يسمعون دويا كدوي النحل، لكنهم لا يفهمون من أمر ذلك الدوي شيئا.

وهذه الهيئة كان يتمثل بها الوحي جبريل عليه السلام عند نزوله بالقرآن على الرسول صلي الله عليه وسلم، صلى الله وبهذه الطريقة نزل القرآن كله، وهذه الحالة أشدها على الرسول عليه وسلم، وهي تصاحبها الشدة والعنت والتفصد بالعرق، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق:" أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي".

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا"[2]. ومعنى الصلصلة عند (الخطاب) صوت متدارك يسمعه، ولا يتشبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد[3].

وقال السيوطي يصف الصلصلة: "وقيل" هو صوت خفق أجنحة الملك، والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمع للوحي فلا يبقى فيه مكانا لغيره.[4]

وتثير الصلصلة في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم اليقضة والانتباه حتى يعي بكل قواه الإدراكية ما سيلقيه عليه الملك جبريل عليه السلام من قرآن وتؤصل الآيات القرآنية شدة هذه الحالة من الوحي.

1- البخاري، صحيح البخاري، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 2002، (رقم الحديث 02)

2- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط 1، المطبعة السلفية، القاهرة، 2015، ص26

3- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط 1، مؤسسة الرسالة، 2010، بيروت، ص44

4 – المرجع نفسه، ص 44.

حديث بدء الوحي:

"حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهَا قَالَت أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ (وَهُوَ التَّعَبُدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَن يَنزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: "إقرأ"، قَالَ " مَا أَنَا بقارئ ". قَالَ " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهَدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيَّ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: " اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيَّ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَة، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكرم﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنتِ خُوَيْلِدٍ – رضى الله عنها – فَقَالَ " زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ". فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ " لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ". فَقَالَت خَدِيجَةُ: كَلَا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانطَلَقَت بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَت بِهِ (وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى) ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ. وَكَانَ إمرءا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّة مَا شَاءَ اللَّهُ أَن يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِي. فَقَالَت لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونَ حَيًّا إذ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم " اَوْ مُخرجي هُمْ، قَالَ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَط بِمِثلِ مَا جئتَ بِهِ إلا عُودِي، وَإِن يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنشَب وَرَقَتْ أَن تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحَى."[1]

وحالة صلصلة الجرس، وباتفاق العلماء هي الحالة الوحيدة التي نزل بها القرآن الكريم كله، حيث لم ينزل بحالة أو هيئة أخرى.[2]

2- **الهيئة الثانية: تصور في هيئة البشر** مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: " وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول."

1- الإمام مسلم صحيح مسلم دار ابن كثير، دمشق 2017، رقم 8.

2 -غازي عناية المرجع السابق، ص 62.

وهذه الحالة أخف هيئات الوحي، حيث يحصل التأنس له عندما يقابل جبريل عليه السلام على هيئة بشر، ويراه ويحادثه كإنسان مثله مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: " وهو أهونه علي". ولكن لا يعني هذا أن جبريل – عليه السلام– كان يتخلى عن روحانيته.

تذكر الروايات الصحيحة أن جبريل –عليه السلام– كان يتمثل أحيانا ببشر معروف من الصحابة، مثل الصحابي (دحية الكلبي)، وأحيانا يتمثل ببشر غير معروف، كما ورد في حديث عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: "يا محمد أخبرني عن الإسلام"، فقال له: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، قال: "صدقت"، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: "أخبرني عن الإيمان" قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: " صدقت "، قال: " فأخبرني عن الإحسان"، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: " فأخبرني عن الساعة" قال: (ما المسؤول بأعلم من السائل)، قال: "فأخبرني عن أماراتها "، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبث مليا، ثم قال: (ياعمر، أتدري من السائل؟) قلت: " الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[1]. ويتفق العلماء أنه لم ينزل قرآن قط بهذه الهيئة.

3 – الهيئة الثالثة: الهيئة الحقيقية لجبريل عليه السلام يظهر جبريل في صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها ومن تلك الصور مجيء جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية أي في صورة ملك كريم له أجنحة. لكن لم يحدث هذا غير مرتين على مدى ثلاث وعشرين عاما، وهي الفترة التي استغرقها نزول الوحي؛ الأولى عندما طلب النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام– أن يظهر له في صورته الحقيقية، فبرز له بعدما أذن الله له بذلك والمرة الثانية ليلة المعراج، عندما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى... وكان جبريل في صورته الملكية الحقيقية هو دليل تلك الرحلة العلوية المباركة، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: في حديث جابر بن عبد الله، عن أبي سلمة بن عبد الرحمان قال: " سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، ، قلت: أو إقرأ باسم ربك، قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم

1 الإمام مسلم، صحيح مسلم، ط 1، دار طيبة 2006، القاهرة، 1/299.

قال: إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو (يعني جبريل)، فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني[1]، فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾.[2]

فقوله صلى الله عليه وسلم: "فإذا هو" يعني أنه عرفه، وأنه الملك الذي جاءه لأول مرة في غار حراء، وأنزل عليه أول النزول القرآني، وهو الخمس الآيات الأولى من سورة العلق. وفي رواية أخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على هيئته الحقيقية أي سورة ملك كريم له أجنحة، يملأ الأفق ما بين السماء والأرض فأخذت الرسول الهيبة، والرجفة، وفي الرواية أنه كان يجلس على كرسي يملأ الأفق ما بين السماء والأرض.[3]

ثانيا: كيف نزل القرآن؟

النزول في اللغة[4] الحلول، نقول نزل فلان بالمدينة أي حل بها؛ والنزول كذلك: الانحدار، نقول: نزل من علو إلى سفل، وجاء في القرآن: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾.[5] والمعنيان يقتضيان الجسمية والمكانية، ولا مجال لتحققهما بالنسبة لكلامه تعالى، وعلى هذا يكون المراد بنزول القرآن معناه المجازي لأن المراد به الإعلام والإخبار به وإنما اختيرت مادة النزول من أجل التنويه بشرف هذا الكتاب الجليل نظرا لما توحيه هذه المادة من علوّ صاحب هذا الكتاب علوا كبيرا.

يؤصل العلماء أن للقرآن الكريم تنزلان:[6]

التنزيل الأول: جملة واحدة من عند الله، أو من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر في شهر رمضان، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾.[7] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾.[8] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾.[9]

1- البخاري صحيح البخاري، مرجع سابق، الرقم 4924.

[2] - سورة المدثر: الآية 1- 2.

3- البخاري، مرجع سابق، رقم 4925.

4- إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968، ص227.

[5] - سورة الرعد: الآية 17.

6- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، مكتبة رحاب الجزائر، 1986، ص 29.

[7] - سورة البروج: الآية 21- 22.

[8] - سورة القدر: الآية 1.

[9] - سورة الدخان: الآية 3.

وقوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾.[1]

حكمة إنزال القرآن جملة:

أقوال العلماء في حكمة نزول القرآن جملة وهي:

1- تعظيم شأن القرآن.

2- تعظيم شأن المنزل عليه، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

3- إعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم.

4- تعظيم شأن الأمة المحمدية.

5- تعظيم شأن بني آدم عند الملائكة.[2]

التنزيل الثاني: من بيت العزة في السماء الدنيا **منجما** حسب الوقائع والأحداث أي مفرقا على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة ثلاث وعشرين سنة، وهي من حين بعثته إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم.

ودليلهم من القرآن قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾.[3]وقوله كذلك: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾.[4]

التنجيم: حقيقته.. الغاية منه

أولا: معنى التنجيم

أ – لغة: نجم الشيء ينجم بالضّم – نجوما: طلع وظهر؛ وفي الحديث: هذا إبان نجومه: أي وقت ظهوره؛ وكل ما طلع وظهر فقد نجم.[5]

وكلمة النجم جمع: مفرده: نجمة ولها في العربية اشتقاقات واستعمالات ومعان كثيرة مختلفة. ومن ذلك ما جاء في حديث سعد: والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة فتنجيم الدين: هو أن يقدر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة.

---

[1] – سورة البقرة: الآية 185.

2 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 42.

[3] – سورة الإسراء: الآية 106.

[4] – سورة الفرقان: الآية 32.

5 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج14، مادة نجم، ص 203 .

ب اصطلاحا: هو تنزيل القرآن الكريم مفرقا على دفعات ومراحل ... كما يدل على ذلك الرد الجوابي على اليهود الوارد في قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لنثبتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تفسيرا**﴾.[1]

فان الله تعالى هنا لم يكذب اليهود فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة، وأكد نزول كلامه في وحيه الخاتم منجما وفق مراحل ودفعات لحكمة قدرها سبحانه وتعالى في علمه المطلق.

ثانيا: الحكمة من نزول القرآن منجما

يمكن إجمالها فيما يلي:[2]

1- تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه:

مصداقا لقوله تعالى:﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لولا نَزِّلَ عَليهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾.[3]يعني لتقوية قلبك، فإن الوحي يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه.

2- تسهيل الحفظ: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب، فليس لديه من وسائل الضبط ما يحفظ به كلّ ما ينزل عليه سوى وسيلة التكرار والحفظ، فكان لابد من نزول الآيات بتدرج، وخلال فترات متقطعة من الزمن حتى يكون السبيل إلى حفظه ووعيه أيسر وأسهل، وبالرغم من ذلك فإنه صلى الله عليه وسلم كان من عادته إذا نزلت عليه الآية أو الآيات أن يأخذ في تكرارها ويستعمل في محاولة حفظها ويظل يحك لسانه خشية أن تتفلت من حفظه، إلى أن نزل عليه قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لتعجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمعه وقرآنهُ فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبع قرآنهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيانَهُ**﴾.[4]

3 – التدرج في التشريع ومراعاة الأولويات في التربية والتعليم وانتزاع العقائد الفاسدة: حيث احتوى القرآن الكريم على أصول التشريع والأحكام سواء ما تعلق منها بالعبادات أو المعاملات المدنية، أو الأحوال الشخصية أو العقوبات أو النظم الدستورية والمالية، أو العلاقات الدولية.

---

[1] – سورة الفرقان: الآية 32.

2 غازي عناية، مرجع سابق، ص 107.

[3] – سورة الفرقان: الآية 32.

[4] – سورة القيامة: الآية 16- 19.

يقول الشيخ (عبد العظيم الزرقاني) في كتابه "مناهل" العرفان": " نرى أن الإسلام قد مهد بالعقائد... فقد بدأ بفرضه للصلاة قبل الهجرة، وثنّى بالزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة، ثم ختم بالحج في السنة السادسة منها وقد كان الإسلام في انتهاج هذه الخطة أبعد نظرا، وأهدى سبيلا وأنجح تشريعا.[1]

4- مسايرة الوقائع والحوادث: هذه الحكمة تمثل واقعية هذا الدين - فقد كان القرآن يمس واقع الحياة بإحداثها، ويحدث فيها تغيرا حيا يرتبط بحياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل جعل بعض الآيات تنزل مرتبطة ببعض أسباب النزول، حتى يأخذ من الأحداث والوقائع التي تمر بهم دروسا قوية مؤثرة في حياتهم.

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون معظم الأحكام في كتابه الخاتم جوابا على أسئلته أو حلا المشكلات واقعة بالفعل، كي تكون أوقع في النفس وألصق بالحياة، وتلك وسيلة تربوية ظاهرة لا تحتاج إلى مزيد بيان، وإنما سبيل ذلك أن تتدرج هذه الأحكام وآياتها في النزول تنتظر منا سباتها وظروفها.. ولذلك نجد أن الكثير من آي القرآن إنما نزل جوابا على سؤال أو حلا لإشكال[2].. ومن ذلك مثلا: قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ**﴾.[3]

5- مراعاة النسخ: اقتضى التدرج بالناس في التشريع أن يكون ثمة ناسخ ومنسوخ، إذ رب حكيم كانت المصلحة والرحمة بالناس تقتضي أخذهم به على مراحل كتحريم الخمر مثلا، فقد اكتفى القرآن في أول الأمر ببيان أن أضراره أكثر من فائدته، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾.[4]حتى إذا استقر في النفوس ذلك، نزلت آية جديدة تنهي الناس عن السكر في أوقات الصلاة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾.[5]

وهو كما نرى تحريم جزئي في فترات متقطعة من الزمن، فلما أخذ الناس أنفسهم بذلك واعتادوا الامتناع عن الخمر في تلك الأوقات التي ورد فيها النهي.. نزلت آية جديدة قاطعة تحرمه تحريما كليا جازما.

1- الزرقاني مناهل العرفان في علوم القرآن جـ 1 دار السلام القاهرة، 2015، ص 50.

2- غازي عناية، مرجع سابق، ص 121.

[3] - سورة البقرة: الآية 222.

[4] - سورة البقرة: الآية 219.

[5] - سورة النساء: الآية 43.

وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾.[1]

ولا ريب أن كل مرحلة من هذه المراحل السابقة إنما هي نسخ لما قبلها، وتصعيد إلى طور جديد نحو تكامل التشريع واستقراره... وهذا لا يتم إلا بنزول القرآن منجما.[2]

-6- إثبات المصدرية الإلهية للقرآن: فقد كان القرآن ينزل متفرقا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم ضعوا هذه الآية في الموضع كذا، وتلك في موضع كذا[3]، إذ كانت تنزل العشر الآيات دفعة واحدة أو جزء من آية فقط. والقارئ عندما يقرأ القرآن يجده – بعد أن اكتمل محكم السرد، مترابطا منظما... وهذا لا يستوي لإنسان لا تأليفا ولا معنى ولا لفظا ... إنه كلام الله تعالى، وهذا دليل قاطع على إعجازه وأنه من عند الله.

ومثال ذلك سورة المزمل، وهي سورة مكية باستثناء الآية الأخيرة منها فهي مدنية، ومع طول الفاصل الزمني واختلاف طبيعة القرآن المكي والمدني – مثل الطول والقصر – فإن المعنى الذي عرضت له هذه الآية متصل بصدر السورة ومنسجمة مع معمارها العام ومطلعها: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[4] (المزمل 20) فقد نزل القرآن منجما ولكن في ترابط معجز، وتفرقت أسباب آياته، ولكنه ألف بينها، فكان متكامل النسج محكما.[5]

---

[1] – سورة المائدة: الآية 90- 91.

2 –غازي عناية، مرجع سابق، ص 145.

3- الامام أحمد، مسند الامام أحمد، ج 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2009، ص69.

[4] – سورة المزمل: الآية 20.

5- غازي عناية، مرجع سابق، ص 146.

المحاضرة الثالثة (03): جمع القرآن الكريم

أولا: معنى الجمع

جمع القرآن له معنيان هما.[1]

أولا: يراد منه حفظه واستظهاره في الصدور، فهو جمع في القلوب والصدور.

ثانيا: الجمع بمعنى الكتابة، فجمع القرآن على هذا المعني كتابته كله حروفا وكلمات وآيات وسورا وهو جمع في الصحائف والسطور.

النوع الأول: جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾.[2]

أشارت الآيات الكريمة إلى معنى الجمع بالحفظ والاستظهار في الصدر، أي حفظه في صدر الرسول صلى الله عليه وسلم، وتلاوته بلسانه. وأشارت الآية كذلك إلى الجمع بمعنى الحفظ بعدم التعجل، والتسرع في التلاوة باللسان.

فالنبي صلى الله عليه وسلم أول من جمع القرآن الكريم في صدره، وفق العناية الإلهية الخاصة من خلال الملك جبريل عليه السلام – الذي كان يعارضه القرآن الكريم كل سنة مرة، وعارضه إياه في العام الأخير مرتين.

ولقد أحاطت به العناية الإلهية بتمكينه حفظ القرآن الكريم حتى أصبح سيد الحفاظ.

عن عائشة، وفاطمة رضي الله عنهما قالتا: "سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي". رواه البخاري. وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ على جبريل عليه السلام، فقد كان يقرأه على صحابته.

– قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي" رواه البخاري.[3]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من حفظ القرآن في صدره. ثم الصحابة رضوان الله عليهم، وقد حفظه كاملا جمع كبير من الصحابة يحصل بهم التواتر.

1- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 114.

2 – سورة القيامة: الآية 16- 19.

3- صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم (3623).

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجمعون القرآن أي يحفظونه من الرسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم له يحفظ أصحابه القرآن بجميع معاني الحفظ. فكان يحفظهم القرآن حفظ تلاوة، واستظهار وتزكية، وتعليم.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأميينَ رَسُولًا مِنهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم وَيُعَلِيهُمُ الْكِتَابَ وَالحكمة وإن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾.[1] (الجمعة 2).

فمن المهاجرين: حفظه الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وطلحة بن عبيد الله. وسعد بن أبي وقاص. وحذيفة بن اليمان وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن الزبير، وعائشة وحفصة، وأم سلمة، وعبد الله ابن السائب رضي الله عنهم جميعا.

ومن الأنصار: حفظه عبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وفضالة بن عباد الله وأبو الدرداء، وأنس بن مالك، وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

ثم جاء التابعون فتلقى خلق كبير منهم القرآن عن هؤلاء الصحابة فحفظوه في صدورهم، وحفظه عنهم أتباع.

النوع الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه

قد مر هذا النوع من جمع القرآن الكريم كتابة بثلاث مراحل مهمة في تاريخه وهي:

المرحلة الأولى: في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه-

المرحلة الثالثة: في عهد عثمان -رضي الله عنه -

المرحلة الأولى: جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

1 – منهج الكتابة:

كان الصحابة – رضي الله عنهم – يكتبون القرآن، ويدونونه كما كانوا يحفظونه. وكان صلى الله عليه وسلم يطلب منهم ذلك. ويرشدهم إلى مكان الآيات في السور. ولم يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة أن يكتبوا غير القرآن، مخافة أن يلتبس بغيره، أو ينشغلوا دونه.

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني، ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار». وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي يكتبون له القرآن الكريم عرفوا بكتبة الوحي، وبلغ عددهم حوالي

[1]- سورة الجمعة: الآية 1.

الأربعين ومنهم: الخلفاء الأربعة: أبي بن كعب، زيد بن ثابت، خالد بن الوليد، ثابت بن قيس ابان بن سعيد الزبير بن العوام، عمرو بن العاص، العلاء الحضرمي، عبد الله الحضرمي، محمد بن مسلمة، المغيرة بن شعبة، عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان.[1]

-2- وسائل الكتابة: كانوا يكتبون على وسائل بدائية توفرت لديهم على حسب الحال، والتي منها:

العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل. وكانوا يقشطون الخوص، ويكتبون على الطرف العريض.

الكرانيف: جمع كرنافة، وهي الأصول العريضة للعسب، يخرجون حشوها، ويدبغون الجزء العريض منها، ويكتبون عليها.

اللخاف: جمع لخفة، وهي صفائح الحجارة الرقيقة، حيث كانت نقش، وتسوى للكتابة عليها.

الأقتاب: جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير، ليركب، أو يحمل عليه.

الأكتاف: جمع كيف، وهو عظم الشاة، أو البعير بعد أن يجف، ويدبغ.

الرقاع: جمع رقعة، وهو من الجلد، أو الكاغد، والكاغد نوع من الجلد المدبوغ.

الأديم: جمع أدمة، وهو الجلد.

-3 مميزات هذا الجمع

- كتابة القرآن على سبعة أحرف نزل عليها القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه." متفق عليه.
- ترتيب الآيات بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ترتيب السور خلاف، والصحيح أنه كذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- لم يجمع القرآن في مكان واحد أو مصحف واحد، أو غرفة واحدة بل كان مفرقا، لكنه كان مكتوبا على الجلود واللخاف والعسب ونحوها. يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه -: "توفي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء." رواه البخاري.
- بقاء شيء مما نسخت ثلاثة مكتوبا عند بعض الصحابة مثل: خمس رضاعات معلومات حرمن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن. رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن» ثم نسخن « بخمس معلومات» فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن».

1 نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، 1993، ص 169.

- أجمع العلماء على أنه مرتب الآيات، واختلفوا في ترتيب السور.
- لم يكن القرآن الكريم قد جمع في مصحف واحد، وإنما كان مكتوبا مفرقا، ولهذا قال زيد بن ثابت عن الجمع الذي تم في عهد أبي بكر الصديق: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف. وصدور الرجال."

-4- الحكمة من عدم تدوين القرآن في مصحف واحد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

تتجلى هذه الحكمة ضمن أمور عديدة منها:

الأمر الأول: لاستمرار النزول القرآني، وبشكل منجم، وطيلة مدة ثلاث وعشرين سنة تقريبا؛ مما اقتضى عدم تدوينه؛ لأنه لم يكتمل نزوله، وإلا لو جمع في مصحف واحد لكان معنى ذلك أنه أصبح نهائيا، ولا يجوز أن يخضع للتغيير، والتبديل؛ فلو جمع في كتاب واحد مع استمرار نزول الآيات القرآنية لأدّى ذلك إلى تعرضه للتبديل والتأخير. وكما قال الامام الزركشي في البرهان: إنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت.»[1]

الأمر الثاني: لعدم اقتضاء الضرورة لذلك. حيث لم تتحقق الدوافع للكتابة، ولم تأت الأسباب الدافعة لتدوين الآيات في مصحف واحد.

الأمر الثالث: لوقوع بالنسخ في القرآن. حيث أن التوقع النبوي كان حاصلا أثناء عهد النزول القرآني، وأن هناك ناسخ قد ينزل فينسخ ما قبله.

الأمر الرابع: لأن ترتيب آياته، وسوره لم يكن حسب ترتيب نزوله : وإنما بإشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم فأحيانا كان يأمر بكتابة آيات في سورها نزلت متأخرة قبل أن يأمر بكتابة آيات سابقة في نزولها؛ مما حال دون كتابة القرآن في مصحف واحد حتى لا يتعرض للتغيير مرارا والقرآن الكريم كتاب سماوي توقيفي من الله تعالى في ترتيب آياته، وسوره، وإن لم يكن الترتيب حسب النزول فإن مثل هذا الكتاب لا يجوز أن يكون عرضة لأي تغيير، أو تبديل وهو القرآن بترتيب آياته، وسوره في الدنيا هو نفسه بترتيب آياته، وسوره عند الله تعالى في اللوح المحفوظ.

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضى الله عنه

1- سببه: الخشية من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفظته الذين كثر القتل فيهم يوم اليمامة سنة 12هـ فقد استحر القتل بالقراء في حروب الردة حيث قتل في يوم اليمامة كثير من حفاظ القرآن.[2]

---

1 السيوطي. الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 57.

2 – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 123.

ومن هنا يظهر أن من أسباب الجمع الذي تم في عهد أبي بكر الصديق كان هو:

أولا: الخوف من ذهاب شيء من القرآن الكريم بموت حملته.

ثانيا: أنهم كانوا يريدون جمعا للقرآن الكريم؛ يتم بحضور جمهور الصحابة، وينعقد الإجماع عليه على أنه هو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم دون زيادة أو نقصان.

2- المكلف بالجمع ومميزاته:

قد قام هذا الجمع الذي اعتمد فيه على المكتوب والمحفوظ على ثلاثة أسس ثابتة، تدل على متانته، ودقته وهي:

- لا يأخذون شيئا من المحفوظ في الصدور؛ إلا إذا تلقاه الصحابي من فم النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، دون واسطة.
- لا يعتمدون على شيء من المكتوب من القرآن الكريم؛ إلا إذا كان قد كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال عمر بن الخطاب للصحابة رضي الله عنهم من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأت به". وقال زيد: فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب، واللخاف، وصدور الرجال".

لابد لمن تلقى شيئا كتابة، أو حفظا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشهد له شاهدان، كما قال أبو بكر لزيد وعمر رضي الله عنهم: " أقعدا على باب المسجد، فمن جاء ما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه." وقد كلف أبو بكر زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما وقال له: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه."[1] .. وبالتالي فمميزاته:

- الحفظ للقرآن الكريم.
- شهود العرضة الأخيرة كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي أن زيدا قرأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين عام وفاته وشهد العرضة الأخيرة.
- أنه من كتاب الوحي.
- قوته وجلده وشبابه.
- قوة عقله ورجاحته وقليلا ما تجتمع هذه الميزة مع التي قبلها وهي الشباب.
- أمانته وشعوره بالمسؤولية. ومما يدل على ذلك قول زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل عن مكانه؛ لكان أهون على من ذلك.

1- طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان، تح أبو غدة، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1331هـ، ص99.

3- منهج الجمع: حدده أبو بكر بقوله لزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فأكتباه".

ومع حفظ زيد للقرآن كله وكتابته للوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتمد على حفظه ولا كتابته؛ بل كان يطلب التوثيق والتثبت أكثر.

قال زيد فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، ولذا فأسس الجمع هي: ما كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم بشاهدين، وما كان محفوظا في صدور الصحابة بشرط تلقيه مباشرة من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذا كان عمر رضي الله عنه يقول: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به أي من تلقى مباشرة من فم النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فالصحابة ومنهم: زيد وعمر كانوا يحفظون القرآن في صدورهم.

4 – مميزات هذا الجمع

- استخدام أدق وجوه التحري والإتقان.
- إهمال ما نسخت تلاوته.
- كان الجمع على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.
- كان الجمع مرتب الآيات بالاتفاق، واختلف في ترتيب السور.
- كتابة مصحف واحد فقط كان عند أبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه الإمام، ثم انتقل إلى عمر بعده ثم أصبح عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما حتى طلبه عثمان بن عفان رضي الله عنه عند جمعه القرآن في خلافته.
- إجماع الصحابة عليه وتقديرهم له وتلقيهم هذا العمل بالقبول.
- ظفر هذا الجمع بإجماع الأمة عليه لأنه قام على أدق المعايير في التثبت والتوثيق.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

1- سببه: الخوف من اختلاف الأمة بسبب أن كل معلم يقرأ للناس على حرف من الحروف السبعة فيقع بينهم الخلاف، حتى قال بعضهم لبعض: قراءة تلك ليست بشيء وقراءتي أصح من قراءتك، بل وحتى كفر بعض الجهلة من لم يقرأ بمثل قراءتهم، ولا سيما مع كثرة الداخلين في الإعلام من غير أبناء الصحابة بل ومن غير العرب بالكلية فأتى حذيفة بن اليمان عثمان بن عفان رضي الله عنهما قال: أدرك أمة محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يختلفوا، كما اختلفت اليهود والنصارى؛ فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف

ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالمصحف " وكان عثمان قد جمع الصحابة فعرض عليهم هذه المشكلة ثم قال: اجتمعوا يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاكتبوا للناس إماما، وكان ذلك في أواخر سنة 24هـ، وبداية سنة 25هـ.

2- اللجنة المختارة اختار عثمان رضي الله عنه لهذه المهمة: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.[1]

- منهج الجمع: بعد اتفاق الصحابة على الجمع؛ أمر عثمان اللجنة بكتابة مصاحف من مصحف حفصة رضي الله عنها، وإذا اختلفت اللجنة مع زيد وهو أنصاري وهم، قرشيون كتبوا بلسان قريش فهو أفصح ألسنة العرب وهو لسان النبي صلى الله عليه الله، وإنما كانت بقية الأحرف السبعة للتيسير والتسهيل وإذا تواتر في الآية أكثر من قراءة كتبت برسم واحد يحتمل القراءتين مثل (فتبينوا) (فتثبتوا) (لنشزها) (تنشرها)؛ لأن التنقيط لم يكن معروفا يومذاك، وإذا لم يمكن رسمها بشكل واحد فتكتب في بعض المصاحف بقراءة، وفي نسخة أخرى بقراءة أخرى مثل: (ووصى بها إبراهيم)، (وأوصى بها إبراهيم) (سارعوا إلى مغفرة من ربكم) (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) وبعد اكتمال النسخ بعث عثمان رضي الله عنه بنسخ منها إلى الأمصار ليعتمدوها وأمر بما سواها من المصاحف الخاصة لدى بعض الصحابة فجمعها لديه ثم أحرقها حتى لا تشكل على الناس.

وقد استحسن الصحابة ذلك الصنيع وتلقوه بالقبول.

4 - مميزات هذا الجمع

- الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلق للناس القراءة بها، بها رخصة مباحة وليست عزيمة واجبة، ولما رأى عثمان رضي الله عنه من المصلحة جمع المسلمين على حرف واحد فعله لتحول الرخصة إلى سبب في الاختلاف والفرقة وقد أجمع الصحابة على قبول هذا العمل.
- حذف ما لم يثبت من القراءات الشاذة أو التفسيرية التي كان يدونها بعض الصحابة على مصحفه كما في مصحف ابن مسعود: فصيام ثلاثة أيام (متتابعات) (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة (صالحة) غصبا). فهذه زيادات تفسيرية يكتبها بعض الصحابة على مصاحفهم لبيان المعنى.
- اقتصاره على ما في الجمع الذي تم بأمر أبي بكر رضي الله عنه - فاقتصر على ما ثبت في العرضة الأخيرة وأهمل ما نسخت تلاوته.
- كتب بلغة قريش، ورسم برسم يحتمل لأوجه القراءات الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

1- طاهر الجزائري، مرجع سابق، ص 102.

- كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروفي اليوم في المصاحف دون خلاف.
- نسخ القرآن في عدد من المصاحف.
- جمع بهدف حمل الناس على القراءة من هذا النسخ وحرق ما سواه من صحيفة.

-5- الفرق بين الجمع الثاني في عهد أبي بكر، والثالث في عهد عثمان رضي الله عنهما:

- الاختلاف في السبب ففي جمع أبي بكر رضي الله عنه كان السبب الخشية من ذهاب شيء من القرآن وفي عهد عثمان رضي الله عنه كان السبب كثرة الاختلاف في وجوه القراءات.
- جمع أبي بكر رضي الله عنه على الأحرف السبعة، وجمع عثمان رضي الله عنه على حرف واحد فقط.
- جمع أبي بكر رضي الله عنه مرتب الآيات وفي السور خلاف، وجمع عثمان -رضي الله عنه مرتب السور والآيات بالاتفاق.
- جمع أبي بكر رضي الله عنه بمعنى جمع ما في الرقاع والعُسُب في مصحف واحد، وجمع عثمان رضي الله عنه بمعنى نسخه في مصاحف متعددة.

عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار:

قال الزركشي في البرهان: "قال أبو عمرو الداني في المقنع: أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ؛ وبعث إلى كل ناحية واحدا الكوفة والبصرة، والشام، وترك واحدا عنده وقد أرسل مع كل مصحف معلما، فأبو عبد الرحمن السلمي مع نسخة الكوفة، وعامر بن عبد القيس مع نسخة البصرة، والمغيرة ابن أبي شعبية مع نسخة الشام، وأمسك عتاده المصحف الإمام الذي قتل وهو يقرأ فيه.

وقيل: إنها خمس نسخ قاله السيوطي. وقال: هو المشهور بإضافة نسخة أرسلها إلى مكة. وقيل: بل سبع نسخ قاله أبو حاتم السجستاني وزاد مكة واليمن والبحرين على الأربع المشهورة: الكوفة والبصرة والشام والمدينة.[1]

ثانيا: ترتيب الآيات والسور

قد روى الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان أنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما- أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة، دعا بعض من يكتب، فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا، وكذا.»[2]

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 240.

2 -محمد الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ص 247.

يقول الإمام الزركشي في البرهان: «فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه، وهذا لا يجوز تعكسيها."[1]

والمراد بقول الزركشي: «لا يجوز تعكسيها: ضرورة التزام الترتيب التوقيفي بين الآيات، بحيث لا يقدم فيها، ولا يؤخر.

ويزيد هذا وضوحا قول الزركشي أيضا: وفسر بعضهم قوله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلا): أي اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم، ولا تأخير. وجاء النكير على من قرأه معكوسا.[2]

وقد ذكر الإمام السيوطي في «الإتقان: ما يفيد معنى الترتيب التوقيفي للآيات بالاستشهاد بقول أبي جعفر بن الزبير في مناسباته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وأمره من غير خلاف بين المسلمين.»[3]

1- الإمام الزركشي، البرهان، مرجع سابق، ج 1، ص 256.

2- المرجع نفسه، ج 1، ص259.

3- السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ج 1، ص 4.

المحاضرة الرابعة (04): مكونات النص القرآني

إن الدراسات اللغوية المتصلة بكتاب الله المجيد تتعدد وتتنوع جوانبها صوتا وصرفا ونحوا ودلالة وقد بلغت بعض هذه الدراسات من العمق والجدة والابتكار ما بلغت إليه، فاستطاعت أن تكشف الكثير من مكونات وأسرار هذا الكتاب العظيم سواء أكان على مستوى المفردة القرآنية أم على مستوى التركيب والنص القرآني يتكون من نصوص لغوية كثيرة ومتنوعة، يطلق عليها اسم السور والآيات، وقد لاحظ العلماء أنّ التعبير القرآني يختلف كل الاختلاف عن كلام العرب الراقي، وهو الشعر. فقد سمّى العرب أحسن كلامهم شعراً، وسمى الله تبارك وتعالى كلامه قرآناً، وسموا النص منه قصيداً، أو قصيدة، وسماه القرآن سورة، وسمّوا الجزء منه بيتاً، وسماه القرآن آية. وقالوا قافية القصيدة، وقال العلماء فاصلة الآية، أو رؤوس الآية.[1]

ومكونات النص القرآني هي: اللفظة القرآنية، والآية، والسورة.

أولا – اللفظة القرآنية

الخصوصية التي تمتاز بها المفردة أو اللفظة أو الكلمة في السياق القرآني لا نجدها في كتابات الأدباء والباحثين. وقد وردت بتوزيع دقيق وبنسب محددة دالة على إعجاز باهر. ومن هذه المميزات ما يلي:

1– الألفاظ المتواترة: ونعني بها تلك الكلمات التي يعرفها كل من نطق باللغة العربية، ولا تتطلب أي مجهود لفهم معناها. وهي كثيرة ومكررة في النص القرآني، وبهذه الألفاظ نكوّن الجمل التي تحمل المعاني، والتي يفهمها السامع. ومن هذه الألفاظ ما يلي بحر، سماء أرض جاء رجع، أكل، شرب، رجل، إمرأة، شمس، قمر، طفل، قرية مدينة جبل، نهر، باع، اشترى... إلخ. وهذه الألفاظ نجدها في القرآن المكي والمدني على السواء.

غير أن التعبير القرآني قد استخدمها بطريقة عجيبة، حيث بعث فيها روحاً خاصة فصارت كأنها ليست هي التي كانت خارج السياق. فقد وظف بعضا منها بصيغة المفرد فقط؛ مثل: كأس، سمع، كرسي، عجل . وبعضه لم يرد إلا جمعاً مثل: أرائك، سرر، أباريق. وبعض الأفعال ورد منه الماضي مثل الفعل "جاء"، وبعضه الآخر ورد منه المضارع والأمر فقط، مثل: يدَعُ، دع – يذَرُ، وذَر، ولم يذكر فعليهما الماضيين وهما وَدَعَ، وَذَرَ. وغير ذلك من الظواهر اللغوية والأسلوبية.

2– الألفاظ الغريبة: هي تلك الألفاظ التي لا يعرفها كل الناس إلا المثقفون مثل الشعراء والخطباء والحكماء. ومن هذه الألفاظ ما يلي: خُنّس، عسعس الناقور، ضيزى دُسُر، الودق، وقب، غاسق، كنس، النفاثات.. إلخ.

1– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن مرجع سابق، ص 53.

وهذه لا ترد بكثرة، بل معظمها ورد مرة واحدة فقط في كل القرآن؛ وهي دلالة على تفرد القرآن في إيراده المعجم اللغوي، واختياره الكلمات المناسبة لكل مقام وسياق وبالنسب التي تلائم الموضوع والمقصود. وهذا ما لا نجده في كتابات الأدباء باختلاف أصنافهم واتجاهاتهم.

3- ألفاظ الأفراد: هي الألفاظ التي وردت في النص القرآني أكثر من مرة، وجاءت بمعنى واحد في كل تلك المرات إلا مرة واحدة فجاءت بمعنى مخالف، وقد أحصى (ابن فارس) ذلك في كتاب سماه افراد كلمات القرآن العزيز، وذكر أربعاً وثلاثين كلمة[1]. فقال على سبيل المثال: كل ما في القرآن من ذكر البروج فإنها الكواكب؛ كقوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ - إلا التي في سورة النساء: ﴿**وَلَو كُنْتُم فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾، فإنها القصور الطوال المرتفعة في السماء، الحصينة[2]. وهكذا فعل مع كل الكلمات التي ذكرها على أنها من الأفراد.

4- الفاظ منفردة: وردت في النص القرآني كلمات كثيرة مرة واحدة فقط، والغريب أنها وردت تقريبا في أماكن متباعدة، أو بعبارة أدق ورد في كل سورة لفظ جديد لم يذكر في سورة قبلها ولا بعدها. فمثلا كلمة "غاسق" وردت مرة واحدة في سورة واحدة هي الفلق، ولم ترد قبلها في سورة الإخلاص، ولا بعدها في سورة الناس. وعدد هذه الكلمات هو (266 كلمة). منها: تعساً ضيزى، حبك، أب، سلسبيل الكوثر، زنجبيل، غسلين صوامع، بيع، هيت.. إلخ. وهذه الكلمات ليس بالضرورة أن تكون غريبة، بل قد تكون معروفة ومشهورة عند كل الناس؛ ككلمة قليلون[3] إذ لم ترد إلا مرة واحدة في سورة الشعراء ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**﴾.[4] وكذلك كلمة "شرذمة"، فلم ترد إلا في هذه الآية أيضاً.

ومنها أيضاً لفظ "الصلاة" التي تعني العبادة المعروفة من قراءة وركوع وسجود، حيث وقعت في القرآن إلا في آية واحدة هي قوله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾.[5]فالصلوات هنا هي أماكن العبادة، لا العبادة نفسها.

5- فضاء المفردة القرآنية: هذه ميزة خاصة بالتعبير القرآني، لا يشاركه فيها كاتب ولا أديب ولا شاعر وهي تلك المفردات التي شحنها القرآن الكريم بطاقة خاصة، أما عند الكتاب فنجدها حيادية، لا تعني سوى معناها

1- أحمد بن فارس أفراد كلمات القرآن العزيز، تح: حاتم الضامن دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص9.

2 - المرجع نفسه، ص 9.

3- نوضح هنا أن القرآن الكريم قد استخدم لفظة "قليل" مرات كثيرة، ولكنه لم يستخدم صيغة جمع المذكر السالم إلا في هذه الآية.

4 - سورة الشعراء: الآية 54.

5 - سورة الحج: الآية 40.

المعجمي، أو بعض المعاني المجازية الإيحائية أما القرآن فوظفها في دلالة خاصة لم يفطن لها الأدباء أو لم يعيروها ذلك الاهتمام. ونمثل لها بالكلمات التالية:

– مطر: هذه اللفظة تأتي دوماً بدلالة العذاب، أو الأذى، سواء أكانت اسما أم فعلاً، كقوله تعالى:﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**﴾.[1] بينما وظف في مجال الخير والبركة والنماء لفظة "غيث أو "ماء".

– عبيد: يطلق على كل الناس وعباد يطلق على الناس المؤمنين أو الأخيار فقط.

– بلد وبلدة: يُوظفان في مجال الخير والبركة؛ وبلاد توظف في مجال العقاب والعذاب والفساد. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا**﴾.[2] وقال:﴿**مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾.[3] أما لفظ "بلاد" فقال فيه تعالى: ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ**﴾.[4]

و– الاطرادات اللفظية: هي ظاهرة أخرى من ظواهر التعبير القرآني، وإيراده لكلمات اللغة؛ فقد وظف كلمات معينة في الخطاب المكي، ثم اختفت في الخطاب المدني، أو العكس. وهذا الأمر عظيم الفائدة من نواح عدة. ومن ذلك الكلمات التالية:

– الرسول: يستخدم في مجال العقيدة والرسالة العامة والتوحيد. لا سيما إذا كان الخطاب بـ(يا أيها الرسول).

– النبي : يستخدم في مجال تفاصيل الدين والأمور الاجتماعية. لا سيما إذا كان الخطاب بـ(يا أيها النبي).

واللفظ الأول نجده في القرآن المكي، والثاني في القرآن المدني. فهل هذا مصادفة فقط؟

– هناك ألفاظ ذكرت في القرآن المكي مثل: قسم، صوم، بنو إسرائيل، وذكر مرادفها في القرآن المدني كما يلي: حلف صيام، يهود. فلفظ "قسم" الذي ورد في القرآن المكي يعادله لفظ "حلف" في القرآن المدني وهكذا مع بقية الكلمات الأخرى، لكن هناك فرقاً دقيقاً بين المترادفين؛ فلفظ "قسم" يأتي بمعنى الأيمان الصادقة أي يُقسم الإنسان بالله وهو صادق في ذلك، أما لفظ "حلف" فيرد في معنى الأيمان الكاذبة؛ أي يقسم بالله وهو كاذب فيه. [5]

---

[1] – سورة الشعراء: الآية 173.

[2] – سورة ابراهيم: الآية 35.

[3] – سورة سبأ: الآية 15.

[4] – سورة الفجر: الآية 12.

5 – بن فارس، إفراد كلمات القرآن العزيز، مرجع سابق، ص 11.

ونجد أيضاً ألفاظاً تذكر في العهد المكي ثم تختفي في العهد المدني، مثل: سحر، ساحر، شاعر، كاهن أساطير، سنين، مجنون، الجن. فهذه الكلمات وردت في القرآن المكي فقط، فقد تكررت في القرآن المكي وحده للدلالة على ما كان يعتقده العرب آنذاك، لأن القرآن الكريم كان يتصدى لهم في هذه الاعتقادات، ويُسفهها. فلما كانت قريش تقول عن الوحي الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بأنه شعر وسحر وكهانة إلخ، كان القرآن يردّ عليهم بأن يأتوا بمثله. فإن كان شعراً فليأتوا به إذن، وإن كان سحراً فليفعلوا مثله. فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ونزل قرآن آخر يناسب تلك المرحلة، لم يعد القرآن يذكر هذه الأشياء لأنه تبيّن بوضوح بما لا يحتاج إلى مزيد بأن هذا القرآن ليس مما كانوا يزعمون. فاختفت تلك الكلمات الدالة على ذلك.

ثم نجد في القرآن المدني كلمات جديدة لم تذكر في القرآن المكي مثل الجهاد، المنافقون، اليهود، الصيام حرج.. إلخ. فلو أخذنا كلمة "جهاد" نفهم مباشرة لماذا لم تذكر مدة ثلاث عشرة سنة في مكة؟ والجواب هو أن الدين الإسلامي لم يشرع القتال طمعاً في الغنائم، أو لإكراه الناس على الدخول فيه، إنما جاء دفاعاً عن النفس. كما أنه ليس في كل القرآن لفظة "سيف"، ولو مرة واحدة، بينما نجدها في الإنجيل أكثر من 200 مرة.

وهناك توظيف دقيق جدا للمترادفات، لا يكاد الإنسان غير المتخصص إدراك الفرق بينهما، مثل: جاء وأتى، العام، والسنة، والحول والحجة، أعطى وآتى، وغيرها. يمكن أن نقول إن التعبير القرآني قد أورد كل هذه الكلمات بشكل دقيق جداً بحيث لا نكاد نشعر بالفرق بينها. فكلمة "أعطى" تدل على التمليك؛ أي إذا أعطاك الله شيئاً فقد جعله ملكاً لك تفعل به ما تشاء. أما إذا "آتاك" شيئاً ما فمطلوب منك أن تؤدي حقه كما يريد الله تعالى منك ذلك. ومن ثم، فإنّ الملك لا يعطى إنما يُؤتى، إذن لا يجوز أن تفعل به ما تشاء إنما تسير به وفق منهج الله تعالى والفرق بين "جاء" و" أتى" و"حضر" أن الأول كثيرا ما يرد بمع نى المفاجأة ومن غير دعوة. والفعل " أتى" فيه معنى السهولة وبطلب سابق أو دعوة. والفعل "حضر" ورد كثيرًا في سياق قسمة التركة وفي سياق الموت.

يستنتج مما سبق أن القرآن الكريم يستخدم الألفاظ اللغوية بشكل مضبوط ومحسوب ودقيق، لا يستطيع أحد من البشر أن يفعل مثل ذلك فيما يكتبه من شعر أو نثر أو علم. وهذا دليل كاف على أن هذا القرآن ليس من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، إنما هو كلام رب العالمين مصداقا لقوله تعالى:﴿**تنزِيلُ من رب العالمين**﴾.[1]

[1] – سورة الحاقة: الآية 43.

ثانيا: الآية

1- تعريف الآية [1]

أ- تعريفها لغة: تطلق الآية في اللغة على معان متعددة منها:

- المعجزة والعلامة والعبرة والأمر العجيب والجماعة، والدليل. وقد جاء في القرآن الكريم بعضا من هذه الدلالات:
- المعجزة ومنه قوله تعالى: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَم آتيناهم من آية بيّنة**﴾.[2]
- العلامة الظاهرة ومنه قوله تعالى:﴿**وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبِّكُمْ**﴾.[3]
- الأمر العجيب، ومنه قوله تعالى:﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**﴾.[4]
- العبرة ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾.[5]
- البرهان والدليل، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾.[6] (الروم 22)
- تأتي بمعنى الجماعة، ومنه قولهم: خرج القوم بآياتهم أي بجماعاتهم، ويقال: سميت الآية آية لأنّها جماعة من حروف القرآن.

ب- تعريفها اصطلاحا: الآية في الاصطلاح أو في عرف القرآن هي: قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة أو هي: جزء من السورة لها مبدأ ونهاية، وآخرها يسمى فاصلة أو هي: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وعما بعدها.

2- طريقة معرفة الآية [7]

للعلماء في معرفة الآية من حيث بدايتها ونهايتها قولان:

القول الأول: إن معرفة بداية الآية ونهايتها سماعي لا مجال للاجتهاد والقياس فيه ولهم أدلة منها:

1- إن العلماء اتفقوا على أن (المص) آية ولم يعدوا (المر) آية، وعدوا (يس) آية ولم يعدوا (طس) آية ولو كان بالقياس والرأي لم يفرقوا بينهما.

---

1 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، مرجع سابق، ص 266.

2 - سورة البقرة: الآية 211.

3 - سورة البقرة: الآية 248.

4 - سورة المومنون: الآية 50.

5 - سورة البقرة: الآية 248.

6 - سورة الروم: الآية 22.

7 - وزارة التربية والتعليم، علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008م 1429هـ، ص 33.

2 هناك أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم محدد فيها بعض الآيات كقوله صلى الله عليه وسلم عن الفاتحة "هي السبع المثاني" رواه البخاري.

وقوله صلى الله عليه وسلم (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) متفق عليه. وغير ذلك فلولا أنه صلى الله عليه وسلم حدد بداية الآيات ونهايتها ماعرفنا أن الفاتحة سبع آيات مثلاً ولا عرفنا آخر آيتين في البقرة ونحو ذلك.

القول الثاني: قيل إن معرفة بداية الآيات ونهاياتها منه ما هو سماعي ومنه ما هو قياسي.

-3- عدد آيات القرآن: لقد اختلف العلماء في عدد آيات القرآن فقيل (6217) وقيل (6220) وقيل (6226) وقيل (6336) وقيل غير ذلك. وسبب الاختلاف، الاختلاف في بداية الآية ونهايتها فمنهم من يعد بعض الكلمات آية ومنهم من يعدها بعض آية.

4- اطول آية وأقصر آية: إنّ أطول آية هي آية (الدين) في سورة البقرة، وأقصر آية هي (يس) في صدر السورة.

5- من فوائد معرفة الآيات:

- العلم أن كل ثلاث آيات قصار معجزة لأن الله تحدى بالإتيان بسورة من مثله وأقصر سورة ثلاث آيات فدل على أن كل ثلاث آيات قصار يثبت بها الإعجاز وفي قوتها الآية الواحدة الطويلة.
- حسن الوقف على رؤوس الآية عند من يرى أن الوقف عند ذلك سنة.
- اعتبار الآيات في أحكام العبادات كالصلاة وخطبة الجمعة.

ثالثا: السورة

1- تعريف السورة:

أ- لغة: قال ابن فارس: "السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع" والسورة في اللغة إما أن تكون مشتقة من سور المدينة، شبهت به لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور أو من التسوّر، بمعنى التصاعد والتركيب، لعلو شأنها وشأن قارئها. والسورة أيضا تطلق على المنزلة الرفيعة.[1]

ب- اصطلاحا: السورة طائفة من القرآن، مستقلة، ذات مطلع ومقطع، وأقلها ثلاث آيات أو هي: الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي.

1- الزركشي البرهان في علوم القرآن، ج 1، مرجع سابق، ص 266.

2- طريقة معرفة السورة: إنّ معرفة بداية السورة ونهايتها سماعي لا مجال للاجتهاد فيه.

3- مصدر أسماء السور

اختلف في أسماء السور:

- ✓ فقيل إنها توقيفية.
- ✓ وقيل إنها اجتهادية.

والراجح أنها توقيفية، قال السيوطي: (وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار).

4- **عدد السور:** عدد سور القرآن الكريم (114) سورة، وقيل إنها (113) سورة باعتبار الأنفال والتوبة سورة واحدة.

5- أقسام السور:

النوع الأول: تنقسم سور القرآن من حيث تعدد الاسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ماله اسم واحد، كالنساء، والأعراف، والأنعام، وغير ذلك.

القسم الثاني: ماله أكثر من اسم كالفاتحة، فإنها تسمى أم الكتاب والسبع المثاني، وأم القرآن والشافية، والكافية وغير ذلك وكالتوبة، فإنها تسمى براءة والفاضحة، والبحوث والمبعثرة والمشقشقة وغير ذلك.

القسم الثالث: تسمى عدة سور باسم واحد نحو (الزهراوين) للبقرة وآل عمران، و(المعوذتين) للفلق والناس والحواميم للسور المبدوءة بـ (حم).

النوع الثاني: تنقسم سور القرآن من حيث الطول وعدمه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الطوال: وهي سبع، البقرة آل عمران، النساء المائدة الأنعام الأعراف، واختلف في السابعة فقيل (الأنفال والتوبة معاً) وقيل (يونس).[1]

القسم الثاني: المئون: وهي السور التي تزيد آياتها على مئة آية أو تقاربها.

القسم الثالث: المثاني: وهي التي تلي المئين في عدد الآيات.

القسم الرابع: المفصل: وهو أواخر القرآن واختلف في بدايته فقيل من سورة (ق)، وقيل من (الحجرات).

وينقسم المفصل إلى ثلاثة أقسام:

-1- طوال المفصل من (ق) أو (الحجرات) إلى (النبأ) أو (البروج).

-2- أوساط المفصل من (النبأ) أو (البروج) إلى (الضحى) أو (البينة).

1- وزارة التربية والتعليم علوم القرآن مرجع سابق، ص35-36.

-3- قصار المفصل من (الضحى) أو (البينة) إلى آخر القرآن.

6- حكمة تسوير القرآن

التقسيم القرآن إلى سور فوائد كثير منها:

- ✓ الدلالة على موضوع الحديث ومحور الكلام، وذلك أن لكل سورة موضوعا تتحدث عنه.
- ✓ أن القارئ وكذا الحافظ إذا أتم سورة كان أنشط له وأبعث لتلاوة أو حفظ السورة التي تليها وهكذا حتى يأخذ حظه من القرآن.
- ✓ تيسير حفظه، فتجزئة العمل باعث على إنجازه، مبيّن للقدر الذي أنجز، والقدر الذي بقي باعث على المواصلة للإحاطة به واستكماله. وفي كونه سورا طويلة وقصيرة وترتيبه الترتيب المعروف تيسير آخر لتعليم الأطفال والتدرج بهم من السور القصار إلى ما فوقها.
- ✓ تشويق قارئ القرآن ودارسه إلى المواصلة، ويبعث فيه الهمة والنشاط لاستيعابه.
- ✓ ترسيخ لموضوعات السور، ودلالة على عناصر كل منها، وما تناولته من أحكام.
- ✓ وعلى هذا النمط ألف المؤلفون كتبهم، وبوّبوا مصنفاتهم أبوابا، صدروا كل باب بعنوان خاص.[1]

7- أسماء السور:

إنّ سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة، كانت أسماؤها معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان إذا نزل عليه الشيء من القرآن يدعو بعض من يكتب له ويقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.[2] يشير بهذا إلى اسم السورة. وقال السيوطي: «وقد ثبتت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار.[3] واسم السورة يؤخذ من شيء ورد ذكره فيها أو مما اختصت به، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وهكذا في تسمية سائر سور القرآن.[4]

1- وزارة التربية والتعليم، علوم القرآن، مرجع سابق، ص 36.

2- السيوطي الاتقان، مرجع سابق، 1/172.

3- المرجع نفسه، 1/150.

4- الزركشي، البرهان مرجع سابق، 1/270.

8- تجزئة المصحف:

إنّ المصاحف العثمانية لم تكن مقسمة إلى أجزاء وإنما تم التقسيم بعد ذلك، فقسموا القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءاً سموا كل جزء بأول كلمة فيه، وقسموا الجزء إلى حزبين، فالقرآن ستون حزباً، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام سموا كل قسم ربعاً.

ومنهم من وضع على رأس كل خمس آيات كلمة (خمس) وعلى رأس كل عشر آيات كلمة (عشر) ويعاقب بينها فمرة يضع (خمس) ومرة يضع (عشر) إلى آخر السورة، ثم اختصروا كلمة (خمس) إلى (خ) ويضعون بدلاً من (عشر) (ع).[1]

1 وزارة التربية والتعليم علوم القرآن مرجع سابق، ص 37

المحاضرة الخامسة (05): القصة القرآنية

أولا: معنى القص: هو تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى:﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾.[1] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به.

والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الحَق**﴾.[2]

والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة. وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكي عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

ثانيا: أنواع القصص في القرآن

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين، والمكذبين كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى وهارون، وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم: كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين وقارون وأصحاب السبت، ومريم وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء ونحو ذلك.[3]

---

[1] – سورة الكهف: الآية 64.

[2] – سورة ال عمران: الآية 62.

3 – وزارة التربية والتعليم، علوم القرآن، مرجع سابق، ص96.

ثالثا: فوائد قصص القرآن

إنّ لقصص القرآني فوائد أهمها فيما يأتي:

أ – إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾.[1]

ب – تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب المسلمين على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخدلان الباطل وأهله ﴿**وَكُلاًّ نَّقصُّ عَلَيْكَ مِن أنباء الرُّسُلِ مَا يُبِيتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةً وَذِكرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾.[2]

ج – تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

د – إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

هـ – مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن يَنزَلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[3]

و – والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليه السمع، وترسخ عبره في النفس: ﴿**لقد كان في قصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾. [4]

رابعا: منهج القصة في القرآن [5]

يمكن أن نلخصه في المظاهر التالية:

المظهر الأول: التكرار. تجد القصة الواحدة قد تكررت في القرآن مرات عديدة، كقصة موسى وفرعون وكقصة نوح، وقصة خلق آدم. غير أن هذا ليس تعبيرا دقيقا عن هذه الظاهرة. فالذي يحدث عند تكرار القصة أكثر من مرة في القرآن ليس هو التكرار بمعناه المعروف إنما الذي يحدث هو أن القرآن يتناول من القصة الواحدة في كل مرة جانبا معينا فيها، وهو الجانب الذي تستدعيه المناسبة. وقد يحدث أن يتكرر عرض القصة نفسها أو عرض الجانب الواحد منها بحسب الظاهر؛ ولكن تلك القصة أو ذلك الجانب منها ينطوي على عبر وعظات

---

[1] – سورة الأنبياء: الآية 25.

[2] – سورة هود: الآية 120.

[3] – سورة ال عمران: الآية 93.

[4] – سورة يوسف: الآية 111.

5– محمد سعيد رمضان البوطي من روائع القرآن، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2003، ص 195.

متعددة، فيقتضي الغرض الديني أن يعاد ذكرها عندما تأتي مناسبة كل عبرة من، عبرها، فتلبس القصة في كل مرة من الأسلوب والإخراج التصويري ما يناسب المعنى الذي سيقت بصدده، حتى لكأنك منها أمام قصة جديدة لم تتكرر على مسامعك ولم تعرض أحداثها على خاطرك من قبل.

المظهر الثاني: الاقتصار إنّ من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض. ومن أجل هذا فإنك قلما تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردا تاريخيا، تبعا لسلسلة الوقائع والأحداث، لأن ذلك يبعد القصة عن مقصدها الذي أوضحناه.

وأمثلة على ذلك، ما قصه علينا القرآن في (سورة الكهف) قصة أصحاب الكهف، فبدأها بهذه الآيات.

﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ نَبَأَهُم بِالحَقِّ إِنَّهُم فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِم وَزِدْنَاهُم هُدَى. وربطنَا عَلَى قُلُوبِهِم إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَيْهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلهة لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيهِم بِسُلْطَان بين فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.[1]

بدأ بوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن أقوامهم بالإيمان بالله عز وجل ووحدانيته مخالفين ما عليه سائرهم من الشرك والكفر، وأنهم من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم ويخرجوا من بينهم ثم تمضي القصة على هذا المنوال.

فمن هم هؤلاء القوم؟ وفي أي بلدة كانوا يسكنون؟ وكم كان عدد هؤلاء الفتية؟ وما هي أسماؤهم؟ هذه أسئلة كان من مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة عنها، ولكنها لو أوضحت ذلك وسارت في تتمتها على هذه الطريقة لما وفت بالغرض الديني الذي تستهدفه، ولانصرف فكر القارئ إلى تتبع أحداث تاريخية يريد أن يعرفها، ولغفل بذلك عن العبرة والعظة التي سبقت القصة من أجلهما.

المظهر الثالث: إقحام النصائح والعظات في ثنايا القصة، وهو مظهر عام يشمل شتى الموضوعات القرآنية كما أوضحنا فيما مضى. فالقرآن لا يدع القارئ يندمج مع موضوع من مواضيعه وينصرف إليه بكل تفكيره، دون أن يفصل بين أجزائه بفواصل من العظات تنبهه إلى المقصود من كل هذه المباحث، وتربط على قلبه برباط من الخشية والمراقبة الإلهية عند قراءتها والتأمل فيها.[2]

المظهر الرابع: العرض التصويري، فأسلوب القرآن عند ذكر قصة من القصص، لا يخبر عنها القارئ إخبارا، ولكنه يمر بشريط حي لها على الخيال والأحاسيس.

---

[1] – سورة الكهف: الآية 13– 15.

2 – محمد سعيد رمضان البوطي المرجع السابق، ص 196–198.

المظهر الخامس: التنويع في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها، ومن أهم مظاهر التشويق في القصة ينبغي أن يكون متجمعا وبارزا في أولها، حتى يندفع القارئ بذلك إلى المضي في استطلاعها والتأمل في مختلف مراحلها. مثالا لذلك. قصة موسى وفرعون في أول سورة طه. ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ اسْكُنُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلي آتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾.[1]

لا ريب أنه مشهد يلفت النظر ويبعث على الانتباه والتطلع إلى ما وراءه، ولكن البداءة به فوتت على القارئ معرفة ما سبق ذلك من الأحداث؛ فيستدركها البيان القرآني في ثنايا العرض ويصورها للقارئ وكأنها قصة ضمن قصة.

المظهر السادس: العرض التمثيلي الذي يعتمد على إبراز المشاهد جلية مشرقة أمام الناظر أو المتخيل، ويطوي ما بينها من الروابط البديهة اعتمادا على سير المخيلة وتصورها.

ونحن نعلم أن القصة إذا ما أريد عرضها بأسلوب تمثيلي حي، فلا بد فيها من طي تلك الأحداث التي يفرضها الفكر والخيال بالبداهة، بل إن القيمة الفنية للقصة وحيويتها تقل كثيرا إذا ما شغل فكر الناظر أو السامع بالحديث عن تلك الروابط وتبيانها. والقصة القرآنية قائمة على هذه السمة والنهج الدائم مهما كانت القصة أو كان موضوعها. لننظر مثلا إلى قصة نوح التي وردت في سورة هود، وننتبه إلى قوله عز وجل فيها:

﴿**وأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ.وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَاء مِن قَوْمِهِ سخروا منه**﴾.[2]

فنجد أنفسنا في أول هذه الآيات أمام الاختبار الإلهي الذي ينزل على نوح بشأن قومه وأمره إياه بأن ينصرف إلى إنشاء سفينة لينجو بها مع القلة من أصحابه المؤمنين، فإن قومه مقدمون على هلاك بطوفان. ثم يسدل الستار على هذا المشهد ليبرز من ورائه مشهد آخر تبصر فيه نوحا عليه السلام وهو منهمك في صنع سفينة، ولا ريب أن بين المشهدين أحداثا طوتها القصة وهي عزم نوح على القيام بهذا الأمر، واستحضار المواد والوسائل لذلك؛ ولكنها أحداث جزئية يستقل بها الخيال فلا ينبغي أن يفسد بذكرها عرض القصة.[3]

---

[1] – سورة طه: الآية 109.

[2] – سورة الفرقان: الآية 36– 38.

3 – محمد سعيد رمضان البوطي المرجع السابق، ص 202.

المحاضرة السادسة (06): سياقات النص القرآني

أولا: السياق السببي: أسباب النزول

1- تعريف أسباب النزول:

السبب لغة: الحبل، ثم استعمل لكل شيء يتوصل به إلى غيره.[1]

واصطلاحا: ما يكون طريقا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. ومثاله: زوال الشمس علامة لوجوب الصلاة وطلوع الهلال علامة على وجوب صوم رمضان في قوله تعالى:﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليسر ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.[2]

وسبب النزول هو: "ما أنزل الله بشأنه قرآنا وقت وقوعه، كحادثة، أو سؤال".

2- أمثلة لأسباب النزول[3]

- روى مقاتل والكلبي أن رجلا من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية: ﴿**واتوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**﴾.[4]
- روى البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة يمشيان فوجداني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ ثم رش علي منه فأفقت، فقلت كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزل قوله تعالى:﴿**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النصفُ وَلأبويه لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ أِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بها أو آبَاؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾.[5]

1- شهاب الدين الخيري التبيان في تفسير غريب القرآن، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1423هـ، ص: 117.

[2] - سورة البقرة: الآية 185.

3- البوطي، مرجع سابق، ص 38-39.

[4] - سورة النساء: الآية 2.

[5] - سورة النساء: الآية 11.

-3- فوائد معرفة أسباب النزول

يقول الواحدي في مقدمة كتابه أسباب النزول (... إذا هي - أي أسباب النزول - أوفي ما يجب الوقوف عليه وأولى ما تصرف العناية إليه، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.)[1]

ويمكن إجمال فوائد معرفة أسباب النزول فيما يلي:

- يعين على فهم الآية فهما صحيحا، ويؤدي إلى معالجة ما يطرأ على البعض من إشكال، وذلك لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.
- يساعد على إدراك الحكمة التي دعت إلى تشريع بعض الأحكام، ومعرفة مقاصد الشرع، ومراعاته للمصالح العامة والخاصة في معالجة الحوادث.
- يساعد على فهم واقع الدعوة، وكيفية مواجهة الحوادث التي تواجهها: العقدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية؛ لأن ارتباط بعض الآيات بأسباب نزول خاص جعل في القرآن واقعية تمس الحياة اليومية للمجتمع في كل جوانبه.
- فيه تسهيل حفظه لأن معرفة السبب يعين على الفهم، والفهم يعين على الحفظ كما أن ربط الآيات بأحداث معينة يجعلها أكثر رسوخ في الذهن، وثباتا في القلب.
- معرفة من نزلت فيه الآية بعينه، لأن في ذلك من الفوائد الشيء الكثير إذ فيه إسناد الفضل لأهله، ونفي التهمة عن البريء؛ حتى لا تحمل على غيره بدافع البغض أو المحبة.
- كشف وجه من وجوه بلاغة القرآن الكريم وذلك من خلال معرفة مراعاة الكلام المقتضى الحال؛ وذلك من خلال المطابقة والمقارنة بين الحادثة والنص القرآني الذي أنزل فيها.[2]

ثانيا: السياق المكاني: المكي والمدني

ينقسم القرآن الكريم في مجموعه إلى مكي ومدني.

1- تعريف المكي والمدني: للعلماء ثلاثة اصطلاحات في تعريف كل من الملكي والمدني.

أحدها: أن المكي هو كل ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة، سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها.

فالاعتبار على هذا الاصطلاح للمكان وحده.

1- البوطي، مرجع سابق، ص 40.

2 - بن عبد الله واسيني محاضرات في مادة علوم القرآن، جامعة المسيلة، 2012/2013، ص 49.

والثاني: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطاب لأهل المدينة، فالاعتبار على هذا للموضوع وحده.

والثالث: أن المكي ما نزل من قبل الهجرة والمدني ما نزل من بعد الهجرة، دون النظر إلى مكان النزول بالذات والاعتبار على هذا الزمان وحده.

وهذا الاصطلاح الثالث هو أشهر وأصح ما قيل في هذا الموضوع. وبناء على ذلك فإن كل ما نزل من القرآن من قبل هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يسمى مكيًا سواء نزل في مكة أو في الطائف أو في أي جهة أخرى. وكل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني سواء نزل بالمدينة أو في الأسفار والغزوات أو في مكة في عام الفتح.

2- بدء النزول القرآني بمكة:[1]

بدأ النزول القرآني بمكة في اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الحادية والأربعين من ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، الموافق 611 لميلاد السيد المسيح وانتهى في الأول من ربيع الأول من السنة الرابعة والخمسين من ميلاده صلى الله عليه وسلم، في سنة 622 لميلاد السيد المسيح عليه السلام، ثم هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

فمدة النزول القرآني بمكة اثنا عشرة سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشرة يوما. وقد استند العلماء في تحديد بدء النزول المكي، وهو السابع عشر من رمضان إلى قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَقَى الجمعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُ**﴾.[2]

فيوم الفرقان هو بدء نزول القرآن، ويوم التقى الجمعان هو يوم التقاء المسلمين بالكفار في غزوة بدر، وكانت في سبع عشرة خلت من رمضان. ونسبته من القرآن 19 من 30 جزءا من القرآن.

3- بدء النزول القرآني بالمدينة:

بدأ النزول القرآني بالمدينة المنورة في اليوم الأول من شهر ربيع الأول من السنة الرابعة والخمسين من ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وانتهى في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة من السنة الثالثة والستين من ميلاده

1- عبد العزيز ثابت، مذكرة في علوم القرآن الطلبة السنة الأولى، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 2016/2017، ص 25.

2 - سورة الأنفال: الآية 41.

صلى الله عليه وسلم. أي من بداية السنة العاشرة من هجرته فمدة النزول القرآني بالمدينة هي تسع سنوات وتسعة أشهر، وتسعة أيام ونسبته من القرآن 11 من 30 جزءا من القرآن.[1]

4- خصائص المكي والمدني

خصائص القرآن المكي ما يلي:

- ذكر قصص الأنبياء والأمم الخالية ودعوة الناس إلى الاعتبار بهم إلا ما يتعلق بالحديث عن مريم وعيسى عليه الصلاة والسلام وقصة ولادته، فقد نزل بعض ذلك في المدينة حجاجا لأهل الكتاب.
- المناقشة والحجاج وعرض الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعلى بعث الأجساد مع أرواحها من بعد الموت للحساب.
- تثبيت فؤاد الرسول ودعوته إلى الصبر على الأذى تأسيا بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين الذي بعثوا الدعوة الناس إلى هذا الدين ذاته.
- يغلب على الآيات المكية أن تكون قصيرة ذات وقع معين في الأذن والنفس تبعث على الرهبة والخشية وتشعر بمعنى الجلال والجبروت، كمعظم السور التي نقرأها في جزء تبارك وعم يتساءلون.

خصائص القرآن المدني ما يلي:

- البحث في الأحكام والتشريعات المتعلقة بالعبادة والمعاملات والحدود وغيرها.
- الأمر بالجهاد والقتال والتعليق على الغزوات وما يتعلق بها من شأن الغنائم والأسرى والمنافقين.
- البحث في شؤون الحكم والشورى وضرورة الرجوع فيهما إلى الكتاب والسنة.
- يغلب على الآيات المدنية أن تكون طويلة فيها اللين والهدوء، ووعد المسلمين بالفوز والنصر.[2]

5- فوائد العلم بالمكي والمدني:

- التمييز بين الناسخ والمنسوخ ذلك أن الوقوف على مواقع النزول القرآني، يساعد على معرفة المتقدم والمتأخر من النازل من القرآن، ومن ثم معرفة الناسخ والمنسوخ، على اعتبار أن الناسخ هو المتأخر، والمنسوخ هو المتقدم.
- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه: على اعتبار أن النزول المكي والمدني يؤصل تدرج التشريع تاريخا وزمنا ومكانا مما يتيح الوقوف على تدرج الأحكام، ومعرفة السابق من نزول الأحكام من اللاحق منها.

---

1 - غازي عناية، مرجع سابق، ص 168.

2 - المرجع نفسه، ص 169.

- الإقبال على القرآن الكريم تلاوة وحفظا وفهما وتفسيرا، وعملا على اعتبار أنه الكتاب الالهي الوحيد المنزّه عن الخطأ والنسيان والنقص.
- الفهم الصحيح لأسباب النزول، والسور القرآنية، على اعتبار أن العلاقة وثيقة بين مواقع النزول القرآني، وبين أسبابه من قصص وحوادث ووقائع، وأسئلة، مما ييسر بالتالي الفهم الأسمى، والعميق للآيات القرآنية.
- الكشف عن دلالات الأحكام، فمعرفة مواقع النزول القرآني زمانا وتاريخا ومكانا يساعد على الفهم السليم لمعاني الآيات ودلالات الأحكام ومعرفة ما إذا كانت على سبيل العموم أم الخصوص أو الوجوب أو الندب...
- حل إشكالات التفسير الناجمة عن تعدد، او غموض أسباب النزول القرآني، فإن الوقوف على مواقع النزول القرآني في مكة، أو المدينة يساعد على حل ما يشكل على الذهن من معاني الآيات.
- الوقوف على حقيقة عموم أو خصوص اللفظ والسبب: فمعرفة المكي والمدني ييسر الفهم الحقيقي، والعميق لدلالة اللفظ، ودلالة السبب، وما إذا كان اللفظ عاما، أو خاصا، وما إذا كان السبب عاما أو خاصا، ومن ثم معرفة ما إذا كانت العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب.
- الوقوف على الأساليب القرآنية في الدعوة، فالنزول المكي له أساليبه وأنماطه، وكذا النزول المدني مراعاة لأحوال الناس.
- الوقوف على حقيقة السيرة النبوية: وذلك بمتابعة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وحوادث الناس طيلة النزول القرآني، وبالتالي الإحاطة على مراحل سير الدعوة الإسلامية سواء في مكة أو المدينة.
- الوقوف على حقيقة علم المكي والمدني ثوابا، وأجرا، ذلك أن هذا العلم ييسر للمسلم التبحر في علم من علوم القرآن، كما يساعد على فهم العلوم الأخرى لترابطها، مما يفتح أبواب الثواب.[1]

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص 170-171.

المحاضرة السابعة (07): السياق التراتبي

أولا– أول وآخر ما نزل من القرآن

1– أول ما نزل من القرآن: للعلماء في ذلك أربعة أقوال:

القول الأول: وهو أصح الأقوال. إن أول ما نزل من القرآن هو أول خمس آيات من سورة العلق.

قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكرم. الَّذِي عَلَّمَ بِالقلم عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعلَم**﴾.[1]

أدلته، وهي أحاديث مروية في معظمها عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها)، منها:

الحديث الأول: ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة – رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث في الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة يتزود لمثلها، حتى جاء الحق"، وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: إقرأ قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ، فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَم الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَم، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم**﴾[2] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها فقال: صلى الله زملوني زملوني؛ فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي؛ فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر".

الحديث الثاني: أخرج الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الدلائل» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول سورة نزلت في القرآن: اقرأ باسم ربك».

القول الثاني: إن أول ما نزل يا أيها المدثر. أدلته، وهي حديث مروي عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه.

روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر. قلت: أو إقرأ باسم ربك؟ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني جاورت بحراء

---

[1] – سورة العلق: الآية 1–5.

[2] - نفس السورة والآية.

فلا قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو – يعني جبريل – فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم، فدثروني[1]، فأنزل الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ، قُم فَأَنذِرُ**﴾.[2]

القول الثالث: إن أول ما نزل من القرآن: سورة الفاتحة.

ومن أدلته ما أخرجه البيهقي في "الدلائل"، والواحدي من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمر عن أبيه عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة: " إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، فقد والله، خشيت أن يكون هذا أمرا فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك؛ فو الله، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل؛ فانطلقا، فقصا عليه؛ فقال: «إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، يا محمد، فأنطلق هاربا في الأفق». فقال: لا تفعل. إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم أتاني، فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد قل: «بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين."

القول الرابع: أول ما نزل من القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم. ومن أدلته: أخرج ابن جرير الطبري، وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «أول ما نزل جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد استعذ ثم قل: «بسم الله الرحمن الرحيم».

–2– آخر ما نزل من القرآن: للعلماء في ذلك عدة أقوال منها:

القول الأول: آخر ما نزل من القرآن: آية الربا. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.[3]

دليله ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: «آخر آية نزلت آية الربا».

القول الثاني: آخر ما نزل من القرآن: قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾.[4] (البقرة 281).

دليله ما رواه النسائي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير قالا: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ الآية.

---

1 السيوطي، الاتقان في علوم القرآن مرجع سابق، 1974، ص24.

[2] – سورة المدثر: الآية 1–2.

[3] – سورة البقرة: الآية 278.

[4] – سورة البقرة: الآية 281.

القول الثالث: آخر ما نزل من القرآن آية الدين، وهي أطول آية في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**يا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلمكُمُ اللهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم**﴾.[1]

دليله ما روي عن سعيد بن المسيب: «أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين».

القول الرابع: آخر ما نزل من القرآن: آية الكلالة: وهي آخر آية في سورة النساء.

قال تعالى: **يستَفتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ... يبين الله لكُم أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم**﴾.[2]

دليله ما رواه الشيخان عن البراء بن عازب قال: «آخر آية نزلت: ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة» الآية.

القول الخامس: آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُم أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم... وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوابِ**﴾.[3]

دليله: ما أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: «آخر آية نزلت هذه الآية: فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم الخ.

القول الثامن: آخر ما نزل من القرآن: آية المائدة، قال تعالى: ﴿**اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً** ﴾.[4]

وهناك أقوال أخرى.

الترجيح بين الأقوال:

يجمع معظم العلماء على أن آخر آية نزلت من القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾.[5]

وقد رجح العلماء بأن آية: (واتقوا يوما) هي آخر ما نزل من القرآن إطلاقا؛ وسندهم في ذلك:

1- إجماع أكثرية العلماء على أنها آخر ما نزل من القرآن قاطبة.

2- وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزولها بتسع ليال؛ ولم يثبت أنه نزل القرآن في هذه المدة القصيرة من حياته.[1]

---

[1] - سورة البقرة: الآية 282.

[2] - سورة النساء: الآية 176.

[3] - ال عمران: الآية 195.

[4] - سورة المائدة: الآية 3.

[5] - سورة البقرة: الآية 281.

❖ **فوائد معرفة ذلك:**[2]نذكر أهمها:

- بيان العناية التي حظي بها القرآن صيانة له وضبطا لآياته، فقد وعى الصحابة –رضي الله عنهم– هذا الكتاب أية آية، فعرفوا متى نزلت؟ وأين نزلت؟ حيث كانوا يتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينزل عليه من القرآن تلقي المؤمنين لأصول دينهم، ومبعث إيمانهم، ومصدر عزهم ومجدهم، ومن أثر ذلك سلامة القرآن من التغيير والتبديل.
- إدراك أسرار التشريع الإسلامي في تاريخ مصدره الأصيل: فإن آيات القرآن الكريم عالجت النفس البشرية بهداية السماء، وأخذت الناس بالأساليب الحكيمة التي ترقى بنفوسهم في سلم الكمال، وتدرجت بهم في الأحكام التي يستقيم بها منهج حياتهم على الحق، وتنتظم شؤون مجتمعهم على الطريق الأقوم.
- تمييز الناسخ من المنسوخ فقد ترد الآيتان أو الآيات في موضع واحد، ويختلف الحكم في إحداها عن الأخرى فإذا عرف ما نزل أولا وما نزل آخرا كان حكم ما نزل آخرا ناسخا لحكم ما نزل أولا.

ثانيا: الناسخ والمنسوخ

1– تعريف النسخ:

النسخ لغة: يأتي بمعنى الإزالة، تقول العرب: نسخت الشمس الظل: أي: أزالته، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِي إِلَّا إِذَا تَمَنى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنَسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾.[3]أي يزيله ويبطله. ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه قولهم: نسخت الكتاب، أي: نقلت ما فيه إلى كتاب آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿**هَذَا كَتابنا ينطِقُ عَلَيْكُم بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[4]

ويأتي بمعنى التبديل، ومنه قوله تعالى: ﴿**وإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يعلمونَ**﴾.[5]

أما في الاصطلاح: فهو انتهاء الحكم وتبديله بحكم آخر، وقد عرفه الفقهاء والأصوليون بتعريفات كثيرة نختار منها أخصرها وأجمعها، وهو ما قاله ابن الحاجب حيث قال في تعريفه رحمه الله: "النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بدليل

---

1 غازي عناية، مرجع سابق، ص 154–166، بتصرف.

2 مناع القطان، مباحث في علوم القرآن مكتبة وهبة، القاهرة، ط 7، 1995، ص 69.

[3] – سورة الحج: الآية 52.

[4] – سورة الجاثية: الآية 29.

[5] – سورة النحل: الآية 101.

شرعي متأخر". قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**مَا نَنسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بخير منهَا أَو مثلهَا ألم تعلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**﴾.[1]

2- حجية النسخ:

النسخ في الشريعة الاسلامية جائز عقلا، حادث سمعا، وهو واقع بإجماع المسلمين، خلافا لليهود، فإنهم أنكروا وقوعه، وقالوا: لم يحدث نسخ في الشرائع؛ لأنه يدل على الجهل والله منزّه عن ذلك، ووافقهم على هذا القول (أبو مسلم الأصفهاني)، فقال: "إن النسخ في كتاب الله تعالى لم يحصل؛ لأن الله تعالى قال: عن القرآن العظيم: ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾.[2]فلو جاز النسخ لكان قد أتاه الباطل."

واحتج جمهور العلماء على جواز النسخ ووقوعه بأن الدلائل القطعية دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، لا تصح إلا مع القول بنسخ شرع من قبله وهذا دليل عقلي. وأما الوقوع فقد قالوا: إن النسخ قد حصل في الشرائع السابقة، وفي نفس شريعة اليهود، فإنه جاء في التوراة أن آدم – عليه السلام – أمر بتزويج بناته من بنيه، ثم قد حرم ذلك باتفاق.[3]

❖ **أدلة الجمهور:**

استدل الجمهور على وقوع النسخ بحجج كثيرة نوجزها فيما يلي:

الحجة الأولى: أن الله تعالى قد صرح به في الآية الكريمة، وهي قوله سبحانه: ﴿ **مَا نَنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَو نُنسِهَا نَأْتِ بِخيرٍ مِنْها أَو مِثلهَا أَلَمْ تعلم أنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾.[4]قالوا: فهذه الآية صريحة في وقوع النسخ.

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿ **وإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يعْلَمُونَ، قُلْ نَزَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيثَبِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾.[5]

قالوا: إن هذه الآية واضحة كل الوضوح في تبديل الآيات والأحكام والتبديل: يشتمل على رفع حكم وإثبات آخر، والمرفوع إما التلاوة وإما الحكم، وكيفما كان الأمر، فإنه رفع ونسخ، وهو ما دلت عليه الآية الكريمة.

الحجة الثالثة: نسخ القبلة من بيت المقدس إلى بيت الحرام، وهو ظاهر لا يجادل فيه عاقل، فقد كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم في بدء الدعوة الاسلامية إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك الحكم.

---

[1] – سورة البقرة: الآية 106.

[2] – سورة فصلت: الآية 42.

3- الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر دمشق: 1981،(3/227).

[4] – سورة البقرة: الآية 106.

[5] – سورة النحل: الآية 101- 102.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالتوجه إلى البيت العتيق في مكة المكرمة بقوله تباركت أسماؤه: ﴿ **قد نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتم فولوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِهِم وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾.[1]

وهكذا يظهر دليل الجمهور واضحا ساطعا كالشمس بحصول النسخ في الشريعة الإسلامية الغراء، ولا عبرة بقول من أنكر النسخ لمعارضته للنصوص الصحيحة الصريحة.

قال الامام القرطبي في جامع الأحكام: "معرفة هذا الباب أكيدة وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء؛ لما يترتب عليه النوازل من الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، وقد أنكرت طوائف من المتأخرين المنتمين للإسلام جوازه، وهم محجوجون بإجماع السلف على وقوعه في الشريعة...، ثم قال – رحمه الله–: " لا خلاف بين العلماء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية، وإنما كان يلزم البداء – أي ظهور الحكمة بعد خفائها – لمن لم يكن عالما بمآل الأمور، وأما العالم بذلك فإنما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح، كالطبيب المراعي أحوال العليل، فراعي ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته، لا إله إلا هو، فخطابه يتبدل وعلمه وإرادته لا تتغير فإن ذلك محال في جهة الله تعالى."[2]

3 – شروط النسخ:

لا يتحقق النسخ إلا بتوافر الشروط التالية:

- أن يكون المنسوخ حكما شرعيا، فلا نسخ في الأخبار، وإنما يكون النسخ في الأمر والنهي ولو جاء في صيغة الخبر، فالعبرة بالمعنى والمضمون.
- أن يكون الناسخ خطابا شرعيا، فلا نسخ بالدليل العقلي ولا العرفي.
- أن يكون الناسخ متراخيا عن دليل الحكم المنسوخ، غير متصل به اتصال القيد بالمقيد.
- ألا يكون الخطاب المرفوع حكما مقيدا بوقت معين.
- أن يكون بين الدليلين تعارضا حقيقيا، بحيث لا يكون الجمع بينهما بحال إلا بارتفاع أحدهما.[3]

---

[1] – سورة البقرة: الآية 144.

2– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 2/57.

3– فضل عباس، محاضرات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 206.

5- أقسام النسخ في القرآن الكريم:

ينقسم النسخ إلى ثلاث أقسام

الأول: نسخ التلاوة والحكم معا.

الثاني: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

الثالث: نسخ الحكم مع بقاء التلاوة

أما الأول: وهو: "نسخ التلاوة والحكم، فلا تجوز قراءته ولا العمل به؛ لأنه قد نسخ بالكلية، كآية التحريم بعشر رضعات، فقد روي عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن"، فنسخن بخمس رضعات معلومات، فتوفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهن فيما يقرأ من القرآن. [1]

وأما الثاني: وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، فهو كما قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن": يعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول، كما روي في سورة النور" "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم" قال عمر -رضي الله عنه - ولولا" أن يقول الناس" زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي.[2]

وأما الثالث: وهو "نسخ الحكم مع بقاء التلاوة"، فهو كثير في القرآن الكريم، وهو كما قال الزركشي: في ثلاث وستين سورة، ومن أمثلة هذا النوع آية الوصية للوالدين نسخت بآية المواريث، وآية العدة بحول كامل نسخت بآية العدة بأربعة أشهر وعشرة أيام، وآية الفدية في الصوم للقادر نسخت بآية وجوب الصوم، وتقديم الصدقة عند مناجاة الرسول صلى الله عليه السلام، والكف عن قتال المشركين، كل ذلك نسخ بآيات في القرآن الكريم واضحات الدلالة والحكم.

6 - الحكمة التشريعية العامة من النسخ:

جاءت الشريعة الاسلامية الغراء، محققة لمصالح الناس، متمشية مع تطور الزمن، صالحة لكل زمان ومكان من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن سنّ لهم سنة "التدرج في الأحكام"؛ لتبقى النفوس على أتم استعداد؛ لتقبل تلك التكاليف الشرعية برضى وقناعة وطمأنينة، فلا تشعر بملل أو ضجر، ولا تشعر بمشقة أو شدة، ولتظل الشريعة الغراء - كما أرادها المولى جل وعلا - شريعة سمحة، سهلة، يسيرة، لا عسر فيها ولا تعقيد، ولا شطط فيها ولا إرهاق.

---

1 -الحديث أخرجه مسلم في الرضاع برقم 1452، وأبو داود والترمذي والنسائي، ومعناه: أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله حتى توفي رسول الله وبعض الناس يقرؤوه؛ لأنه لم يبلغه النسخ لقرب عهده.

2 - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه.

ومن المعلوم أن الأحكام وما شرعت إلا لمصلحة العباد، وهذه المصلحة تختلف باختلاف الزمان والمكان فإذا شرع حكم في وقت من الأوقات، وكانت الحاجة ملحة إليه، ثم زالت تلك الحاجة، فمن الحكمة نسخه وتبديله بحكم يوافق الوقت الآخر، فيكون هذا التبديل والتغيير محققا للمصلحة، مؤديا للغاية نافعا للعباد، وما مثل ذلك إلا كمثل الطبيب، الذي يغير الأغذية والأدوية للمريض باختلاف الأمزجة والقابلية والاستعداد والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هم أطباء القلوب"، ومصلحو النفوس، لذلك جاءت شرائعهم مختلفة، تبعا لاختلاف الأزمنة والأمكنة، وجاءت بسنة "التدرج في الأحكام"؛ لأنها بمثابة الأدوية والعقاقير
للأبدان، فما يكون منها في وقت مصلحة، قد يصبح في وقت آخر مفسدة، وما يصلح لأمة لا يصلح لأخرى وتلك هي حكمة العليم الحكيم، الذي شرع لكل زمان ما يصلح له.

المحاضرة الثامنة (08): السياق التداولي، القراءات القرآنية

أولا : تعريف القراءات

– لغة: القراءات جمع مفرده قراءة، وأصل مادتها تعود إلى (ق ر ي)، وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع ومنه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾.[1] والقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا فهي مصدر من قولك قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض[2] وفي لسان العرب جاء معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أي ألقيته[3].

اصطلاحا: ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة، منها:

– تعريف (ابن الجزري): القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة[4].

– تعريف (القسطلاني): علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال[5].

– تعريف (عبد الفتاح القاضي): علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا اختلافا مع عزو كل وجه لناقله.

– تعريف (الزرقاني): مذهب، يذهب إليه إمام من الأئمة مخالفا به غيره، في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أو في نطق هيئاتها.[6]

ثانيا: أقسام القراءات:

تعددت تقاسيم العلماء لها، ولعل التقسيم الذي عليه أكثر المتأخرين تقسيمها إلى قسمين اثنين مجمع عليهما باختلاف في التعبير عنهما بين العلماء وهما القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة.

–أ– القراءة الصحيحة

قال (ابن الجزري): كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب

---

[1] – سورة القيامة: الآية 17.

2– الأزهري، تهذيب اللغة، ط1، ج 9، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ص 271.

3– ابن منظور، لسان العرب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت 2003، ص 129.

4– ابن الجزري، منجد للقرنين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص 3.

5– القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات وزارة الأوقاف السعودية، 1434هـ / ص 123.

6 – عبد الفتاح القاضي البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2002، ص 15.

على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة، أم عمّن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عن أئمة السلف والخلف.[1]

يفهم من تعريف ابن الجزري هذا أن للقراءة الصحيحة ثلاث شروط تتمثل فيما يلي:

- ✓ موافقة اللغة العربية ولو بوجه.
- ✓ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- ✓ صحة السند.

وتطبيق معايير القراءة الصحيحة السابقة على القراءات القرآنية يدخل كثيرا من القراءات غير السبعية في القراءات الصحيحة ويخرج عددا من القراءات السبعية من الصحية إلى الشذوذ، يؤكد ذلك ما روي عن القراء السبعة من قراءات وصفت بأنه شاذة، فقد ذكرت بعض الإحصائيات أن **حمزة الزيات** رويت عنه ثلاث روايات وصفت بالشذوذ، و**الكسائي** رويت عنه سبع روايات، **ونافع بن أبي نعيم** رويت عنه تسع روايات، و**عبد الله بن عامر** رويت عنه اثنتا عشرة رواية، و**عبد الله بن كثير** روايات عنه ستة عشيرة رواية، و**عاصم بن أبي النجود** رويت عنه خمس وعشرون رواية ، و**أبو عمرو بن العلاء** رويت عنه ستون رواية، ولا شك أن هذا الشذوذ لم يتطرق إليها بسبب مخالفتها للرسم، أو انحرافها عن العربية، ولكن بسبب ضعف الرواية.[2]

ب– القراءة الشاذة:

الشاذ لغة: الشاذ مشتق من مادة (ش ذ ذ)، وهو مصدر من شذ يشذ شذوذا،[3] تقول شذ الرجل إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة والتفرق والخروج على القاعدة والأصول؛ فكل شيء منفرد فهو شاذ.[4]

في الاصطلاح: يختلف مفهومه حسب كل علم، فهو عند النحاة غيره عند علماء السنة، ويختلف عنهما لدى علماء القراءات.

1- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر المطبعة التجارية الكبرى، 2009، ص 197.

2 – السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 194.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 332.

4- ابن الجني، الخصائص عالم الكتب، بيروت، ط3، ج 1، 1982، ص 96.

فالقراءات الشاذة هي التي تقابل القراءات المتواترة، وعرفت بأنها من فقدت ركنا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة[1] كما عرفت بأنها كل قراءة بقيت وراء مقياس (ابن الجزري) الذي قال: ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم.[2]

ولعل التعريف الذي تطمئن إليه النفس في تعريف القراءة الشاذة هو القراءة التي صح سندها ووافقت اللغة العربية ولو بوجه وخالفت المصحف، وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية في الفتاوى وابن الجزري في النشر.[3] وبهذا يعلم أن القراءة الشاذة عند الجمهور هي ما لم يثبت بطريق التواتر، ولعل السبب في تسميتها بالقراءة الشاذة يعود إلى أنها شدت عن الطريق الذي نقل به القرآن حيث نقل بجميع حروفه نقلا متواترا.

ثالثا: القراءات القرآنية والمعنى.

إنّ الهدف الرئيسي من تعدد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة في قراءة كتاب ربها عز وجل. يقول (ابن الجزري) عند حديثه عن الأحرف السبعة" فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها ... وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيّها. وبعد أن استشهد (ابن الجزري) بعض الأحاديث الصحيحة استمر في بيان الحكمة قائلا: " إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها، عربيّها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج ولا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن السنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع .ويشير إلى ذلك قوله في طيبة النشر[4].

وأصل الاختلاف أن ربنا أنزله بسبعة مهونا

أي مهونا على قارئيه ورافعا الحرج عليهم.

ولكن إلى جانب هذا الهدف احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تميزه وسموه للكتب السماوية الأخرى وعلى النصوص البشرية النثرية والشعرية على حد سواء، مما أستحق أن يتصف هذا القرآن بالإعجاز. وكان من بين هذه الجوانب جانب تعدد المعاني بتعدد القراءات إذ كل قراءة زادت معنى

---

1 – السيوطي، الاتقان، مرجع سابق، ص 198.

2– ابن الجزري، مرجع سابق، ص 9.

3– ابن تيمية مجموع الفتاوى الكبرى، ج 13، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1995، ص 393.

4– ابن الجزري، مرجع سابق، ص 22.

جديد لم تبينه أو توضحه القراءة الأخرى[1]، وبهذا اتسعت المعاني بتعدد القراءات، إذ تعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات القرآنية.

وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها، ولكن من غير تناقض أو تباين في المعاني، وإن وجدت قراءتان بمعنيين مختلفين لا نقدح في واحدة منهما، ولا نفضل إحداهما على الأخرى.

يقول (القرطبي) في ذلك: ... وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال، إحداها أجود من الأخرى كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها..[2]ويقول عند حديثه عن القراءات الشاذة "وإن لم يثبت كونه قرآنا فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الآحاد[3].

كما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب التي عرفت بالمعاني الكثيرة للفظ الواحد أو العبارة الواحدة، وهذا من الخصائص التي تميزت بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات.

وقد ذكر غير واحد من العلماء [4] أن اختلاف القراءات القرآنية مرده إلى ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى الواحد ؛ كاختلافهم في قوله تعالى: (الصراط، وعليهم ويؤده، والقدس، وبحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط، فالكلمة الأولى: تقرأ بالسين والصاد والزاي. والثانية عليهم، وإليهم ولديهم، يضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها والثالثة ويؤده إليك، ونؤته منها، وألقه إليهم بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها، ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتحقيقه و شبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

فاختلاف الألفاظ في هذه الكلمات لم يؤد إلى اختلاف المعنى، وإنما في المعنى نفسه في تلك الكلمات.

الثاني: اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد نحو قوله تعالى: (مالك، وملك) في الفاتحة، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى، لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذلك في قوله تعالى: يكذبون (بسكون الكاف) ويكذبون (بفتح الكاف) لأنهم يكذبون في أخبارهم، ولأنهم يكذبون بالنبي: "إنَّ علينا جمعه وقرانه."

الثالث: اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد

---

1 الزركشي، مرجع سابق، ص 327.

2 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ص291

3 المرجع السابق، ج1، ص47.

4 أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة للقراءات، دار المنارة جدة، 1997، ص 47-49

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنهم قَدْ كَذِبُوا جَاءَهُم نَصْرُنَا فَنُجِي من نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾.[1]

حيث قرئ بالتشديد والتخفيف في لفظ كذبوا هكذا كذبوا (بضم الكاف)، وكذبوا، (بكسرة الذال)، فأما وجه التشديد فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، وأما وجه التخفيف فالمعنى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم – أي كذبوا عليهم فيما أخبر وهم به، فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم. فإن ذلك كله وإن اختلف لفظا ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه أخر يمتنع فيه التضاد والتناقض.

رابعا: الاستشهاد بالقراءات القرآنية

حظيت القراءات القرآنية باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام إلى يومنا هذا، فقد تجرد عدد كبير من علماء المسلمين لخدمة هذا القرآن وقراءته وسطروا كل ما جادت به عقولهم وأفكارهم في مؤلفاتهم حتى أصبحت مفخرة المسلمين ومضان الدارسين من بعدهم في الدرس والتأليف والمتأمل في الدرس اللغوي العربي يجده قد تأثر تأثرا واضحا بهذه المؤلفات، إذ لا يكاد يخلو كتاب في أصوات العربية وصرفها ونحوها ومادتها المعجمية واللغوية من جملة كبيرة من القراءات وما يتصل بها من مسائل مثلت القواعد والضوابط التي أصلت للغة العربية من حيث مفرداتها وأساليبها.

حيث بذل العلماء جهدا فائقا لخدمة القرآن بمختلف قراءاته المتواترة والشاذة، فوجهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة، وقد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية وضبط مفردات اللغة.[2]

إنّ للقراءات الصحيحة شروطا ومعايير تجعلها مقبولة، وقد اعتمدها النحاة واللغويون والبلاغيون وغيرهم واستنبطوا منها الأصول التي بنوا عليها علومهم، وما خالف شروط القراءة الصحيحة عدوه شاذا، وقد وضع كثير من هؤلاء اللغويين أو النحويين شرطا واحدا لصحة الاستشهاد بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى لو كان فردا سواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الأحاد، وسواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة. بل إن (ابن جني) في كتابه "المحتسب" كان حريصا على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع القراءة المتواترة

[1] – سورة يوسف: الآية 110.

2– محمد شعبان صلاح، مواقف النحاة من القراءات القرآنية، حار غريب القاهرة، ط1، 2005، ص 9.

وذلك عندما عرف كلا من القراءة الصحيحة والشاذة بقوله إن من القراءات: ضربا اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة، وهو بشهرته غان عن تحديده، وضربا تعدى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذة، أي: خارجة عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قراءته، محفوف بالرواية من أمامه ووراءه ولعله أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنف بغيره فصاحته و ترسو به قدم إعرابه.[1]

فالقراءات المتواترة والشاذة حجة عند أهل العربية، وإن كانت الأولى أعلى قدرة وهذا تدخل القراءات القرآنية بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس الأدبي واللغوي والبلاغي وتقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر الجاهلي والإسلامي ومأثور النثر من حكم وأمثال وخطب في صحة الاستشهاد بها والاستناد إليها، وفي إمكانية اتخاذها مرتكزا لتحقيق التيسير.

خامسا: فوائد الاختلاف في القراءات[2]

- الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.
- التخفيف على الأمة وتسهيل القراءة عليها، خاصة الأمة التي نزل فيها القرآن فإنها كانت قبائل كثيرة مختلفة اللهجات ونبرات الأصوات.
- إعجاز القرآن في إيجازه، حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ.
- فيه وجه إعجاز، إذ تنوعت القراءات يقوم تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة يتمثل في الايجاز مع الإعجاز.
- فوائد نحوية وبلاغية في تنوع القراءات.[3]

سادسا: تاريخ القراء[4]

يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم- فقد اشتهر بالإقراء عدد كبير منهم تلقوه مشافهة من الرسول صلي الله عليه وسلم وتلقاه عنهم عدد كبير من التابعين بالمشافهة أيضا.

1- ابن جني، المحتسب، مطابع الأهرام القاهرة، ط1، 1994، ص 32.

2- مناع القطان، مرجع سابق، ص 170.

3 – عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، دار الغرب الاسلامي، 1999، ص67.

4- بليح مرجع سابق، ص 39.

وقد ذهب الإمام الذهبي – رحمه الله– أن المشتهرين بإقراء القرآن من الصحابة سبعة هم:

عثمان رضي الله عنه، على بن أبي طالب رضي الله عنه، أبي بن كعب رضي الله عنه، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، زيد بن ثابت رضي الله عنه، أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، أبو الدرداء عويمر بن زيد رضي الله عنه.

وأخذ عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين في كل بلد من بلاد المسلمين.

واشتهر سبعة من القراء هم:

- ابن عامر 8-118 هـ بالشام.
- ابن كثير 45-120هـ بمكة.
- عاصم بن أبي النجود ت 127هـ بالكوفة.
- أو عمرو بن العلاء 6-154هـ
- نافع 16970هـ إمام المسجد النبوي.
- حمزة بن حبيب 80-158هـ
- الكسائي 119-189هـ وكان من أعلم الناس بالنحو.

المحاضرة التاسعة (09): مناهج التفسير ونقدها

اولا معنى التفسير والتأويل والشرح

التفسير لغة: هو مصدر فسر، يفسر تفسيرا، وهو من الفسر أي البيان والكشف. قال الزبيدي: " الفسر الإبانة وكشف المغطى." [1]

وقد جاءت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئناكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تفسيرا**﴾.[2]

فقولنا: فسر بمعنى: بين ووضح، وكلام مفسر أي واضح ظاهر.

- **التفسير اصطلاحا:** عرفه (الزركشي) بقوله: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.[3]
- **التأويل لغة:** مصدر أول تأويلا من الأول وهو الرجوع، فكأن المفسر أرجع الآية إلى ما تحتمله من المعاني.
- **التأويل اصطلاحا:** عند المتقدمين بمعنى التفسير، قال (ابن جرير الطبري) في تفسيره: " القول في تأويل قوله تعالى كذا... واختلف أهل التأويل في هذه الآية... "يريد بذلك أهل التفسير.

وذهب فريق من العلماء إلى أن بين التفسير والتأويل فرقا جليا:

– التفسير أعم من التأويل، وأن التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني والجمل.

– التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل بيان لفظ يحتمل وجوها منها بما ظهر من الأدلة.

– التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة أو مجازا، كتفسير الصراط بالطريق، والتأويل باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع العاقبة الأمر.

– التفسير هو المعنى الظاهر من الآية الكريمة، والتأويل هو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتمل عدة معان.

– التفسير هو كشف معاني القرآن الظاهرة، والتأويل ما استنبطه العلماء العارفون من المعاني الخفية والأسرار الربانية اللطيفة التي تحملها الآية الكريمة.[4]

1- الزبيدي، تاج العروس، ج 7، طبعة الكويت 2008، ص349.

2 – سورة الفرقان: الآية 33.

3- الزركشي، البرهان، ج1، مرجع سابق، ص 13.

4 –محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، مكتبة رحاب الجزائر، 1986، ص 62.

– العلاقة بين الكلمتين العموم والخصوص المطلق، فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويل.[1]

- **الشرح لغة:** الكشف، نقول شرح الغامض أي فسره، وشرح الكلام أوضحه وفسره.[2]
- **الشرح اصطلاحا:** هو بيان المشروح، وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور، لهذا لا يستعمل في القرآن الكريم، ويستعمل في الكتب الأخرى.
- **وبمفهوم أخر:** هو علم قائم على درس نص كتابي، وايضاح معناه حسب قواعد النقد العلمي، وفقه اللغة والتقليد العقائدي، وبيان ما هو غامض فيه، أو ما هو مدعاة للجدل.
- أو هو توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة.[3]

ثانيا: الحاجة إلى علم التفسير

- المعرفة بمراد الله تعالى قدر الطاقة البشرية فيما يشرع لعباده من أوامر ونواه يستقيم عليها حال العباد.
- المعرفة بأحكام الله الشرعية في كل المجالات، مما يحقق الحياة الطيبة للناس في الدنيا والفوز في الآخرة.
- إدراك أوجه الإعجاز في القرآن، تقوية للإيمان، وتقربا إلى الله تعالى.
- عبادة الله على أحسن وجه وتزكية الروح وتنوير العقل.
- يشمل علم التفسير على معارف شتى عن علوم القرآن وعلوم العربية وعلوم الشريعة، مما يزود دارس تفسير القرآن ثقافة واسعة متنوعة.[4]
- أسلوب القرآن الكريم يصلح أن يخاطب به كل طبقات الناس على اختلاف مداركهم وثقافاتهم.
- القرآن الكريم محاط بسور من الرهبة والجلال يمنع قارئه أن يسرع فيقتحم إليه بالشرح والتفسير كما يشرح الكتب الأخرى، وإنما الشأن أن يتوسط إلى ذلك بما قد أثر من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم له أو أثر من تفسيرات الصحابة رضوان الله عليهم، فهو الذي أوحى إليه القرآن مباشرة، وهو الذي أمره عزو جل بأن يبين للناس ما نزل إليهم.
- يحوي القرآن بين دفتيه مبادئ العقيدة والشريعة، والتوجيهات، وأخبار الماضين بتركيز واختصار والتفسير يستجيب للتفصيل والشرح

1- البوطي، من روائع القرآن، مرجع سابق، ص 71.

2- لويس معلوم، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط19، 1988.

3- توفيق أوسهلة طرق التفسير في المعجم الوسيط، مذكرة ماستر، جامعة تلمسان، 2014، ص21.

4- عبد الحي الفرماوي، مقدمة تفسير الجلالين دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، ص9.

- لا يقتصر تفسير القرآن على شرح الكلمة وترجمتها، وإنما يتعدى ذلك إلى وجوه وأنواع من الاستنباطات المتعلقة بدقائق المباحث والعلوم، يعكف عليها أرباب الاختصاصات بالدرس والبحث والتفسير، حسب وجهاتهم واختصاصاتهم.[1]

ثالثا منزلة علم التفسير

قد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية (التفسير والحديث والفقه).

رابعا: شروط المفسر (العلمية والذاتية)

- التجرد من الهوى، لأن الهوى قد يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلا.
- العلم بأصول التفسير نحو علم القراءات والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وغيرها.
- العلم بالحديث رواية ودراية، ذلك أن السنة تفسر القرآن وتبينه.
- العلم بأصول الدين، وهو علم التوحيد، وسلامة العقيدة.
- العلم بأصول الفقه، فبه يعرف كيفية استنباط الأحكام الشرعية من الآيات، ويستدل عليها، ويعرف الاجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد.
- العلم باللغة العربية وعلومها، ذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.[2]
- التزام القول بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير شيء من كتاب الله، إذا كان فيه حديث ثابت صحيح، قالوا: ولكن ينبغي الحذر من الوقوع في الضعيف والموضوع أيضا، وقد بين العلماء ذلك وميزوه.
- التزام الأخذ بقول الصحابة إذا كان قد أثر عنهم في ذلك قول، وهذا ما ذهب إليه الأكثر من أن تفسير الصحابة للقرآن يعتبر في حكم المرفوع إلى النبي، وذلك لأنه ليس من قبيل الرأي، وإنما هو في الحقيقة من قبيل الرواية.
- التزام قواعد اللغة العربية وضوابطها ومقاييسها في التفسير. فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وإنما تفسره الدلالات اللغوية والقواعد العربية، فمن لم يكن ذا بصيرة سليمة في فهم العربية فليس له أن يفسر شيئا من كتاب الله عز وجل.

1- البوطي، مرجع سابق، ص 71-72.

2 - بليح، مرجع سابق، ص 46-47.

- التزام المقتضى الذي يدل عليه العلم بكتاب الله تعالى والتزام أصول الشرع وقواعده في الفهم والاستنباط والاجتهاد كالمفهوم والفحوى ودلالة العام والخاص والمطلق والمقيد، وهي في مجموعها إنما تعتبر ملكة علمية تؤهل صاحبها لاستنباط المعاني والأحكام من كتاب الله عزو جل.[1]

خامسا: تاريخ التفسير

لقد نشأ التفسير مع نزول القرآن، وكان أول من تولى ذلك هو رب العزة نفسه ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بِيَانَهُ**﴾.[2] فقد كانت بعض الآيات تنزل وفيها بعض الاجمال فتنزل آية أخرى تتولى بيانها وتفصيلها. ثم أمر سبحانه وتعالى رسوله الله عليه الصلاة والسلام بيان ما أنزل إليه من القرآن، فقال: ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[3]

وكان عليه الصلاة والسلام هو المصدر الأول لفهم كتاب الله وتبيينه. ولا بد أن النبي عليه السلام بين لأصحابه سائر معاني الكتاب كما بين لهم ألفاظه وطريقة تلاوته.[4]

أما الصحابة –رضي الله عنهم – فهم الطبقة الأولى في تاريخ علماء التفسير، وهم الأساس والأصل اللذان قامت عليهما نشأة علم التفسير.

وكان على رأسهم ابن عباس رضي الله عنها المتوفى سنة 68 هجرية، وقد روى عنه في التفسير ما لا يكاد يحصى كثرة، وقد سماه (ابن مسعود): ترجمان القرآن.

ومنهم الخلفاء الراشدون وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري.. الخ وكان التفسير عند هذه الطبقة معتمدا على الرواية والأداء بالنطق والمشافهة فقط، ولم يكن شيء منه يكتب على عهدهم إلا القرآن والحديث.

أما الطبقة الثانية من علماء التفسير، فهي طبقة التابعين منهم: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير والشعبي الحسن البصري.. وكانوا يعتمدون على الرواية عن الصحابة، فكانوا يروون عنهم التفسير إلى جانب ما يروونه من الحديث والفقه، ولكنهم اشتهروا بالمزيد من العناية بكتاب الله منهم مجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري.

1- البوطي، مرجع سابق، ص 78-79.

2 – سورة القيامة: الآية 19.

3 – سورة النحل: الآية 44.

4- السيوطي، الاتقان، مرجع سابق، 3/178.

كما ظهرت عند بعض هذه الطبقة الكتابة والتدوين أما الطبقة الثالثة، فقد قام علماؤها بتدوين وتأليف تفاسير واسعة تجمع ما انتهى إليهم من أقوال الصحابة والتابعين ومن مثل هؤلاء:

- تفسير سفيان بن عيّنة، ت198هـ
- وكيع بن الجراح، ت 197هـ
- شعبة بن الحجاج، ت 160هـ

وغيرهم كثير، ثم جاء في أعقابهم (محمد بن جرير الطبري ت 310هـ) فجمع اشتات هذه التفاسير، وقرب منها البعيد، وهو تفسير عظيم جمع فيه المأثور بالسند وميز بين الصحيح منه وغيره وأصبح مستند هاما لسائر المفسرين بعده. ولقد امتاز عمل هذه الطبقة من المفسرين بجمع ما انتهى إليهم من أقوال الصحابة والتابعين في تفسير آيات القرآن في مؤلفات منسقة، مع ضبط الرواية عن الصحابة، والاعتماد على أهل الثقة من التابعين. ثم أضافوا إلى ما نقلوه عن الصحابة والتابعين زيادات واستنباطات توسعوا فيها، منها ما يتعلق بالعربية، ومنها ما يتعلق بالقراءات والفقه وأحكام الحلال والحرام، مع الالتزام بقواعد التفسير وشروطه.

ولقد كان علم التفسير خلال هذه المراحل الثلاث يضم كل ما يتعلق بفهم القرآن، وكشف أسراره وما يتعلق به من قراءات وأسباب النزول، وناسخ ومنسوخ، ومتشابه.

المحاضرة العاشرة (10): التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

أولا: التفسير بالمأثور

ويقصد به التفسير المقتصر على النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضي الله عنهم أو عن تلامذتهم من التابعين، وربما عن الأتباع أي عن تلاميذ التابعين.[1]

وهناك الكثير من التفاسير صنفت على هذا النمط من أشهرها

- الدر المنثور في التفسير المأثور – الحافظ السيوطي.
- جامع البيان في تأويل –القرآن– محمد بن جرير الطبري.
- تفسير القرآن العظيم ابن كثير.
- معالم التنزيل – الحسين بن مسعود البغوي.
- فتح القدير محمد بن علي الشوكاني.

ويعتمد التفسير بالمأثور على المصادر التالية:

- القرآن الكريم: أي تفسير القرآن بالقرآن، وهذا أفضل وأشرف أنواع التفسير وأجلها، ذلك أن الآية قد ترد في موضع وترد آية في موضع آخر أكثر تفصيلا فتفسر الأولى بالثانية، ومن أمثلة ذلك

  قوله تعالى: "ملك يوم الدين" في سورة الفاتحة، فقد ورد بيان المراد بيوم الدين في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يومُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَومُ الدِّينِ**﴾.[2]

- السنة النبوية أي تفسير القرآن بالسنة فإنها شارحة له، وموضحة لمعانيه. قال تعالى: ﴿**بالبينَاتِ وَالزُّبرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكر لتبينَ لِلنَّاسِ مَا أُنزِلَ إِليهم ولعلهم يتفكرون**﴾.[3] وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم عددا من الآيات، وروت كتب الحديث طائفة من ذلك. فقد فسر القوة المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَأعدوا لَهم مَا استطعتم من قُوة وَمن رِبَاط الخَيل تُرهبونَ بِهِ عَدُوّ الله وَعَدُوكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِم لا تعلمونهم الله يعلمهم وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأنتم لا تظلمون**﴾.[4]

---

1 يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2000، ص 206

[2] – سورة الانفطار: الآية 17-18.

[3] – سورة النحل: الآية 44.

[4] – سورة الأنفال: الآية 20.

- بقوله صلى الله عليه وسلم: " إلا إن القوة الرمي، إن القوة الرمي."[1]
- أقوال الصحابة: لأنهم أعلم من غيرهم لما اختصوا به من مشاهدة الأحداث ومصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وحضور مجالسه، ولما لهم من الفهم الصحيح والعمل الصالح.
- أقوال التابعين وقد رجح كثير من العلماء الأخذ بأقوال التابعين الذين تلقوا التفسير عن الصحابة –رضي الله عنهم–.

❖ **حكم التفسير بالمأثور**: التفسير إذا صح سنده يجب الأخذ به ولا يصح العدول عنه، وهو الذي يجب اتباعه لأنه طريق المعرفة الصحيحة، وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله.[2]

من آفات التفسير بالمأثور[3].

- وجود الضعيف والمنكر والموضوع من المنقول عن الرسول وأصحابه وتابعيهم.
- تضارب الروايات بعضها مع بعض. وهذا يتطلب تمحيص الروايات، وتحقيق الأسانيد، وفق مناهج الجرح والتعديل، حتى يعرف الموثق من المضعف، والمقبول من المردود.
- أن بعض هذا المأثور هو رأي لصاحبه فلا عصمة له.
- أن التفسير بالمأثور –كما روي لنا – لم يكن تفسيرا منهجيا يتناول القرآن سورة سورة، ويتناول السورة آية آية ويتناول الآية كلمة كلمة، كما هو شأن التفسير التحليلي الذي عرف باسم (التفسير بالرأي) بل هو أشبه بتعليقات على الآيات الكريمة.

ثانيا: التفسير بالرأي

يقصد بالرأي هنا ما يقابل النقل، ولذا سمي التفسير بالدراية، مقابل التفسير بالرواية، ومعنى الرأي هو الاجتهاد وإعمال العقل والنظر في فهم القرآن الكريم في ضوء المعرفة بلسان العرب، وفي إطار ما ينبغي أن يتوافر للمفسر من أدوات وشروط معرفية وأخلاقية.[4]

1- ابو داود، صحيح سنن أبي داود، تح الألباني مكتبة المعارف، الرياض، مل1، 1998، رقم 2514.
2- القطان، مرجع سابق، ص 340.
3- القرضاوي، مرجع سابق، ص 207.
4- القرضاوي، المرجع نفسه، ص 207.208.

وينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين:[1]

- **التفسير بالرأي المحمود:** وهو الذي يستند فيه صاحبه على النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم، والأخذ بمطلق اللغة وبما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع بهذه الصفات جائز.
- **التفسير بالرأي المذموم:** وهو التفسير الذي يعتمد فيه المفسر على رأيه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد من غير دليل. وهذا النوع من التفسير، حرام لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلم إِنَّ السمع وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُل أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾.[2] (الإسراء 36).

ولقوله صلى الله عليه وسلم: " من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار."[3]

كما أن التفسير المذموم هو التفسير دون علم أو حسب الهوى، مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، أو أن يحمل المفسر كلام الله على مذهبه الفاسد، وبدعته الضالة، أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه، ويجزم أن المراد بكلام الله كذا وكذا.[4]

- أدلة المجيزين للتفسير بالرأي:[5]

استدل المجيزون للتفسير بالرأي وهم (الجمهور) بعدة أدلة:

❖ لقد حثنا الله على التدبر ﴿**وَكِتابُ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَك لِيدَّبَّروا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾.[6]

﴿**أفلا يتدبَّرونَ الْقُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾.[7]

والتدبر والتذكر لا يكون إلا بالغوص في أسرار القرآن، والاجتهاد في فهم معانيه.

❖ إن الله تعالى قسم الناس قسمين: عامة وعلماء، وأمر بالرجوع إلى أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرُ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الخُوفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهم وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَبَعْتمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلا**﴾.[8]

1- مطبوعة التعليم الثانوي مرجع سابق، ص 124

[2] – سورة الإسراء: الآية 36.

3- الترمذي، سنن الترمذي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996، ط1، رقم 2600

4- الصابوني، مرجع سابق، ص155.

5- المرجع نفسه، ص 155.

[6] – سورة ص: الآية 29.

[7] – سورة محمد: الآية 24.

[8] – سورة النساء: الآية 83.

والاستنباط هو استخراج المعاني الدقيقة بثاقب الذهن.

- ❖ جواز الاجتهاد والمجتهد في حكم الشرع مأجور سواء أصاب أم أخطأ، ما دام أنه استفرغ جهده، وبذل ما في وسعه بغية الوصول إلى الحق والصواب.
- ❖ أن الصحابة – رضي الله عنهم– قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه.
- ❖ أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس – رضي الله عنه – فقال: اللهم فقّه في الدين، وعلمه التأويل."[1]

فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل كالتنزيل لما كان هناك فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فدل على أن التأويل هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

قال (أبو حامد الغزالي) في الإحياء إن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه، فبطل أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله.[2]

ومن أشهر التفاسير بالراي

- مفاتيح الغيب – فخر الدين الرازي.
- الكشاف– الزمخشري.
- البحر المحيط – أبو حيان الغرناطي.
- تفسير الجلالين –جلال الدين المحلى – جلال الدين السيوطي.
- الجامع لأحكام القرآن –القرطبي.

1 احمد بن حنبل، مسند الامام احمد، ج 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، رقم 2397

2 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، 2004، ج 3، ص 36

المحاضرة الحادية عشر (11): التفسير اللغوي

أولا: تعريف التفسير اللغوي

هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب.

أما الشق الأول من التعريف، وهو بيان معاني القرآن: فإنه عام يشمل كل مصادر البيان في التفسير، كالقرآن والسنة، وأسباب النزول وغيرها.

وأما الشق الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب: فإنه قيد واصف لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب.

والمراد بما ورد في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن.

وقد أشار إلى هذا (الشاطبي) (ت790هـ)، فقال: "فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربي، وإنه لا عجمة فيه، فيعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه وبالعام يراد به الخاص وظاهر ويراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره.[1]

والتفسير اللغوي مركب وصفي متكون من صفة وموصوف، والصفة فيه قيد له من إدراج غيره فيه. واللغوي نسب على القياس إلى اللغة، والمقصود بها هنا اللغة العربية وإن لم تحدد، واللغة العربية تضم عددا من العلوم تسمى (علوم اللغة العربية) وهي: علم الصوت، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم المعجم، والبلاغة وغيرها من العلوم الفرعية. فالتفسير اللغوي إذن هو التفسير الذي يستفاد من خلال اللغة العربية وعلومها وأساليبها من خطاب الخاص بالعام، وخطاب العام بالخاص، وغيرها من الأساليب.[2]

ثانيا: مكانة التفسير اللغوي

يعد الاتجاه اللغوي في التفسير من أقدم الاتجاهات اتي وجدت في التفسير، كما تعد اللغة والآداب العربية أحد المصادر المهمة في تفسير القرآن، والتي لا يمكن أن يستغني عنها أي مفسر، وكانت مسألة استخدام اللغة العربية في فهم القرآن مورد اهتمام الأدباء والمفسرين منذ القدم. وقد نبه العلماء إلى ذلك كثيرا، فقد روي عن الإمام (مالك بن أنس) –رضي الله عنه – قوله: "لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بالعربية إلا جعلته نكالا."[3]

1- مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي السعودية، 2002، ص 39.

2- أحمد محسن خلف، التفسير اللغوي عند ابن جني، 2014، الجامعة المستنصرية، العراق، ص 7.

3- الزركشي، البرهان مرجع سابق، ج 2، ص 160.

وقال (السيوطي): "قال العلماء: يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ من المعنى وعدول عن طريقه، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سبق الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، وعليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلق بالمعاني ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط، ثم الإشارات.[1]

وأكد الراغب الأصفهاني على ذلك بقوله: "إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه وليس نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتين بالإضافة إلى لبوب الحنطة.[2]

يقول الشيخ (الطاهر بن عاشور): "أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها."

إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم."[3]

وبالرغم من أهمية اللغة العربية في التفسير، إلا أن التفسير اللغوي له ضوابط على المفسر التقيد بها إذ لا يجوز أن يحمل كلام الله عزو جل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن.[1]

1- السيوطي، الاتقان، مرجع سابق، ج 2 ص 185.

2- الراغب الأصفهاني، المفردات دار القلم، دمشق، ط2، 1998، ج 1، ص 53.

3- ابن عاشور التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج 1، 1984، ص 18.

وعلى المفسر أن يحذر أن يتسارع إلى تفسير القرآن ظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية، كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي.[2]

ثالثا: خصائص منهج التفسير اللغوي

لعلّ أكثر ما يهتم به أصحاب هذا المنهج هو المسائل التالية:[3]

- ❖ الاهتمام بالمسائل النحوية والصرفية للألفاظ وعبارات القرآن، وفي بعض الأحيان يقوم المفسر بإعراب الآيات ودراسة النواحي الصرفية فيها.
- ❖ الاهتمام ببيان المسائل واللطائف البلاغية وفصاحة القرآن.
- ❖ الاهتمام بالإعجاز الأدبي والبلاغي أو إثبات ذلك.
- ❖ توضيح اللغات الغريبة والمشكلة في القرآن.
- ❖ الاهتمام بجذور الكلمات في اللغة العربية والثقافات غير العربية.
- ❖ الاهتمام باختلاف القراءات، وتأثير ذلك في معاني الآيات.
- ❖ الاستفادة من أشعار العرب، وخصوصا الجاهلي منها كمصدر للتعرف على معاني القرآن.
- ❖ الاهتمام بمباحث الوجوه والنظائر والحقيقة والمجاز.

رابعا: العلوم التي يحتاج إليها المفسر اللغوي

- ❖ أن يكون المفسر عارفا بالتصريف ومعاني الأبنية، ودلالتها، وأصول الألفاظ.
- ❖ أن يكون المفسر عارفا باللغة ومعاني مفرداتها، ومدلولاتها بحسب الوضع.
- ❖ أن يكون المفسر عارفا بالنحو، لأن المعاني تتغير، وتختلف باختلاف الإعراب.
- ❖ أن يكون المفسر عارفا بالاشتقاق، والاشتقاق حقه أن يكون ضمن التصريف.
- ❖ أن يكون المفسر عارفا بعلم المعاني الذي يهتم بدراسة خواص التراكيب من جهة إفادتها المعنى.

---

1 -الزمخشري المفصل في صنعة الإعراب، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 193 ص 12.

2- القرطبي، مقدمة تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج 1، ص 34.

3- محمد علي رضا الاصفهاني مناهج التفسير واتجاهاته، دراسة مقارنة مركز الحضارة، بيروت، ط8، 1200، ص 387.

❖ أن يكون المفسر عارفا بعلم البيان الذي يهتم بدراسة خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.

❖ أن يكون المفسر عارفا بعلم البديع، الذي يعنى بدراسة تحسين الكلام. وهذه العلوم الثلاثة الأخيرة تسمى علوم البلاغة.[1]

خامسا: أشهر التفاسير اللغوية

❖ الكتاب- سيبويه (ت 180هـ).

❖ معاني القرآن- الكسائي (ت 189هـ).

❖ معاني القرآن- الفراء (ت 207هـ).

❖ مجاز القرآن- أبو عبيدة (ت 210هـ).

❖ معاني القرآن- الأخفش (ت 215هـ).

❖ معاني القرآن- المبرد (ت 285هـ).

❖ معاني القرآن، إعراب القرآن، غريب القرآن - ثعلب (ت 291هـ).

❖ معاني القرآن وإعرابه الزجاج (ت311هـ).

1 السيوطي، الاتقان، مرجع سابق، 4/213/214

المحاضرة الثانية عشر (12): التفسير البياني والأدبي

أولا: تعريف التفسير البياني

هو ذلك التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه هو العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك من أحوال التعبير.[1]

ويقصد بالبيان الكشف عن المعنى، سواء أكان ذلك باللفظ، أم بغير اللفظ كالإشارة وغيرها..

والبيان عند (الجاحظ ت 255هـ): اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."[2]

ثانيا: نشأة التفسير البياني

إنّ التأليف في التفسير البياني الذي يكشف عن وجوه الجمال والإعجاز محصورا في حقلين هما: إعجاز القرآن، وحقل المتكلمين والبلاغيين، ومنهم الجاحظ، والجرجاني.

وأشهر الكتب التي ألفت في ذلك الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل "للزمخشري (ت 538هـ) ومن الذين تأثروا به:

- البيضاوي (ت 691هـ) في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- الإمام النسفي (ت 701هـ) في تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل.[3]

وفي العصر الحديث أخذ نفر من العلماء والدارسين يتوسلون المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم عساهم يتلمسون بعض أسراره البيانية، ويقفون على بعض لمحه البلاغية، يتقدمهم مصطفى صادق الرافعي (1880-1937م) في "إعجاز القرآن والبلاغة العربية"، والشيخ امين الخولي(1895-1966م) في مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب"، و(سيد قطب) (1906-1966م) في التصوير الفني في القرآن" و"في ظلال القرآن"، وعائشة عبد الرحمان (1913-1998م) في التفسير البياني للقرآن الكريم، والاعجاز البياني

1- فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج 1، الشارقة، 2002، ص7.

2- الجاحظ، البيان والتبيين تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دن، 1/76.

3- ابراهيم لقان، محاضرات في علوم القرآن المركز الجامعي، ميلة، 2009، ص 79.

للقرآن"، و(فاضل صالح السامرائي 1933) في بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" وعلى طريق التفسير البياني" و"لمسات بيانية في نصوص من التنزيل."[1]

ويعد الشيخ أمين الخولي رائد المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، ويقتضي التفسير البياني عنده ضرورة فهم سياقي القرآن الكريم سياقه الداخلي المتمثل في دراسة مفردات القرآن وتراكيبه، وذلك بالاستعانة بالعلوم اللغوية كالنحو والبلاغة وسياقه الخارجي المتضمن معرفة البيئة العربية – المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن، والتي عنها تحدث.[2]

وقد لخصت عائشة عبد الرحمان ضوابط المنهج البياني عند أستاذها وزوجها الشيخ أمين الخولي في كتابه الجليل "مناهج تجديد" بقولها:[3]

- ❖ الأصل في المنهج التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الاسلام، ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.
- ❖ في فهم ما حول النص: ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية.
- ❖ في فهم دلالات الألفاظ: نلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.
- ❖ في فهم أسرار التعبير: نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين بما يحتمله نصا وروحا. ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الاهواء المذهبية، وبدع التأويل.

كما نحتكم إلى الكتاب المبين في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، نعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا نعرضه عليها، ولا نأخذ فيه بتأويل لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه، لتسوية قواعد الصنعة النحوية

---

1 – يوسف ولد النبية المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم تفسير فاضل صالح السامرائي نموذجا مجلة الممارسات اللغوية مج 11 ع 03 جامعة تيزي وزو 2020، ص 24.

2– عائشة عبد الرحمان، الاعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، 2004، ص 27.

3– يوسف ولد النبية، مرجع سابق ص25–26.

والبلاغية، إذ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه، وهو النص الموثق الذي لم تشبه أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصوص الفصحى من تحريف أو وضع..[1]

ولعل بنت الشاطئ خير من تلقف فكرة أستاذها أمين الخولي، فقد جسدتها في بحوثها ودراساتها المختلفة، أهمها كتاب التفسير البياني للقرآن الكريم" في جزئين، الأول تضمن سور (الضحى الشرح، الزلزلة، العاديات، النازعات البلد، والتكاثر)، والثاني تضمن سور (العلق، القلم، العصر، الليل، الفجر، الهمزة، والماعون)، وكتاب الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية" في جزئين أيضا، تناولت في جزئه الأول الاعجاز البياني بوجه عام ودرست في جزئه الثاني نحو مائتي مسألة في كلمات قرآنية، سأل فيها نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما – وطلب إليه في تفسير كل مسألة منها أن يأتي له بشاهد منها في كلام العرب.[2]

وقد نبهت بنت الشاطئ الذين يلتمسون مقاصد بعينها من القرآن الكريم على مسألة تراها أساسية وهي أنهم: "لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئا دون أن يفقهوا أسلوبه الفريد ويهتدوا إلى أسراره البيانية التي تعين على إدراك دلالاته، فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية، أم يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية، أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم على النحو الذي ألفناه في كتب التفسير، فهو مطالب بأن يتهيأ أولا لما يريد، ويعد المقصد من فهم مفردات القرآن وأساليبه، فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسراره في التعبير.[3]

ثالثا: مكانة التفسير البياني

إنّ مدرسة التفسير الأدبي انطلقت على أساس النظر في المركبات الي تحدث العلاقة بين الألفاظ اعتمادا على موروث اللغة من نحو وصرف وبلاغة لكن وهذا ما أثارته هذه المدرسة ألا يكون الاعتماد على علوم اللغة مقصودا لذاته، بل على أساس أنها أداة بيان المعنى وتحديده لا غير، والنظرة البلاغية المطلوبة هي الصورة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال في الأسلوب القرآني، وتستبين معالم هذا الجمال وأسرار التعبير من الحرف إلى الكلمة ودلالات الألفاظ إلى الأسلوب.

ونظم القرآن المعجز لم يكن غرضا مقصودا لذاته، بل كان لإصلاح الحياة البشرية فهو (فن الحياة).[4] إن هدف مدرسة التفسير الأدبي هو التوجه لدراسة القرآن أدبيا وفنيا واعتبار الغرض الأول من التفسير والذي

---

1 – عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، (دت)، م7، 55.

2 – فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة المالك، القاهرة 2006، ص 95.

3- المرجع نفسه، ص 96.

4 –شكري عباد الرؤيا المقيدة، ط 1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 173.

أقرته مدرسة (محمد عبده)، وأثرت بناء منهجها عليه الاهتداء بالقرآن والتفسير البياني والأدبي تفسير يبرز إعجاز القرآن، ويعتمد في عرض معانيه على الأسلوب الأدبي الجذاب ليصل إلى القارئ بما يريد من التأثير والتوجيه.

ولقد لفت هذا التفسير إليه الأنظار لأنه استطاع أن يملك ناصية البيان الأدبي في عرض المعاني وناصية الذوق الأدبي في فهم أسرار إعجاز القرآن.[1]

رابعا: ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني

ذكر (السامرائي) أن ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني هو ما يحتاجه المتصدي للتفسير العام، إلا أن به حاجة أكثر إلى الأمور التالية:[2]

- التبحر في علم اللغة (المعاني التي وضعت الألفاظ بإزائها).
- التبحر في علم التصريف (الأبنية والصيغ).
- التبحر في علم النحو (الاعراب والبناء).
- التبحر في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع).
- العلم بالقراءات.
- معرفة أسباب النزول.
- النظر في السياق.
- مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير المراد تبيينه.
- مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة المراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها.
- أن يعلم المفسر بأن هناك خصوصيات في الاستعمال القرآني، كاستعمال الريح للشر والرياح للخير والغيث للخير والمطر للشر، والصوم للصمت، والصيام للعبادة.
- أن ينظر في الوقف والابتداء، وأثر ذلك في الدلالة والتوسع في المعنى أو التقييد فيه.
- أن يسترعي نظره أي تغيير في المفردة والعبارة كالإبدال في المفردة نحو يطهر ويتطهر، والذكر والحذف نحو: تذكرون (الشدة على الذال والكاف) وتتذكّرون (الشدة على الكاف)، وتغيير الصيغة نحو مغفرة وغفران.
- إدامة التأمل والتدبر، وهما من أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار.
- الاطلاع على ما كتبه مشاهير المفسرين، وكتب علوم القرآن والإعجاز والمتشابه.

1- نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح دمشق، 1993، ص 113.

2- يوسف ولد النبية، مرجع سابق، ص 28-29.

- الموهبة التي هي أساس كل علم وفن وصنعة.

خامسا: مساوئ التفسير البياني

من محاذير هذا النهج في التفسير أنه يغفل جوانب القرآن المتعددة من أسرار الإعجاز في معانيه وتشريعاته وأحكامه ومبادئه للحياة الانسانية الفاضلة، ويتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الأدبية كالنص الشعري أو النثري، ودراسة النصوص الأدبية التي تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لآخر بتفاوت ثقافته.[1]

1- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن مرجع سابق، ص 354.

المحاضرة الثالثة عشر(13): الإعجاز اللغوي والبياني

أولا: مفهوم الإعجاز

أ – في اللغة: الاعجاز في اللغة العربية هو نسبة العجز إلى الغير. قال تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾.[1]

وتسمى المعجزة معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنها أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة.[2]

ب – في الاصطلاح عبر عنه العلماء بعبارات مختلفة

فهو عند (الجرجاني) في التعريفات: "أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق."[3]

وعند (الشنقيطي): أمر خارق للعادة مقدر بالتحدي، سالم من المعارضة.[4] وإعجاز القرآن معناه: إثبات عجز البشر –متفرقين ومجتمعين– عن الإتيان بمثله. وليس المقصود من (إعجاز القرآن) هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق.[5]

ثانيا: مفهوم الإعجاز البياني وهو أن يؤدى المعنى ببيان معجز لجميع البيانات الأخرى.

ويعرفه (الحسين زروق): الإعجاز البياني هو إثبات عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن ببيانه تصديقا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فالإعجاز البياني هو تحدي البيان القرآني للبيانات الأخرى، إثباتا لصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.[6]

ثالثا: عناصر البيان القرآني

حدد ذلك العلامة (عبد الله دراز) في كتابه العظيم: "النبأ العظيم" بقوله: وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسرارا من الإعجاز اللغوي.

---

[1] – سورة المائدة: الآية 30.

2– محمد علي الصابوني، التبيان مرجع سابق، ص 89.

3– الجرجاني التعريفات دار الفضيلة القاهرة 2010، ص 88.

4 –الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 5، ص 496.

5 –محمد علي الصابوني التبيان مرجع سابق، ص 89.

6– الحسين زروق، جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، 2013، ص 25.

يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغنائها وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل أذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

ويجد ذلك في ألفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنه زائد، ولا يعثر الباحث على موضع يقول إنه محتاج إلى إثبات لفظ ناقص.

ويجد ذلك في ضروب الخطاب التي يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم، فيراها كل واحد منهم مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته من العامة والخاصة ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾.[1]

ويجد ذلك في إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة البشرية تفكيرا ووجدانا في تكافؤ واتزان فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير. وهكذا حيثما قلب النظر، قامت أمامه حجة القرآن في التحدي والإعجاز.[2]

ويمكن تحديد عناصر البيان القرآني كما يلي:

1- دقة ألفاظ القرآن

البيان القرآني المعجز دقيق دقة ملحوظة في اختيار ألفاظه، سواء أصولها الاشتقاقية، أو سهولة حروفها وتناسقها، أو روعة ايقاعها، أو بلاغة دلالاتها.

قال الإمام (الراغب الأصفهاني) في مقدمة كتابه الفذ مفردات ألفاظ القرآن" حول دقة الفاظ القرآن" فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته، وكرائمه، وعليه اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها – هو بالإضافة إليها، كالقشور والنوى الإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة.."[3]. وقال (د. عبد الفتاح لاشين): " لقد كان القرآن دقيقا في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته.. فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك بسبب، وإذ انتقاها نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كان اللفظ مفردا كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعا كان الحال يناسبه، وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة وقد يفضل كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي، والجمال

---

[1] – سورة القمر: الآية 17.

2 –القطان، مرجع سابق، ص 259-260.

3– راغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ، ص.55.

البديعي – على قدره وحسنه الغرض أسمى وهو الحسن المعنوي، وكل ذلك لغرض يرمي إليه.. وهكذا دائما لكل مقام مقال في التعبير القرآني.[1]

❖ مثال من القرآن على دقة ألفاظه:

كلمة (ضيزى) وردت مرة واحدة في القرآن، وجذرها الثلاثي لم ترد منه إلا هذه الكلمة، وهي من أغرب الكلمات الغريبة في القرآن، لكنها دقيقة دقة عجيبة في السياق الذي وردت فيه.

قال تعالى:﴿**أَفَرَأَيْتمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخرى، ألكمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزى**﴾.[2]

فما معنى (ضيزى)؟ وما جذرها الثلاثي الذي اشتقت منه، وما دقتها في السياق الذي وردت فيه؟ ضيزى جائرة أو ظالمة أي قسمتكم أيها المشركون قسمة جائرة، لأنكم جعلتم لكم الذكور وجعلتم الله البنات وجذرها الثلاثي هو (ضيز). ورد في المعجم الوسيط: "ضاز: يضيز ضيزا، أعوج وجار. ويقال: ضاز فلانا حقه إذا ظلمه القسمة الضيزى هي الجائرة[3].

وقال الراغب الأصفهاني): قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزى﴾ أي ناقصة، أصل (ضيزى) فعلي فكسرت الضاد لتناسب الياء بعدها.[4]

وبما أن (ضيزى) بمعنى: جائرة أو ظالمة فلماذا آثر القرآن هذه اللفظة الغريبة، ولم يذكر ما يقاربها وهو (جائرة)؟ ولماذا لم يقل: إذن تلك قسمة جائرة؟ علل الأديب (ابن الأثير) في المثل السائر الأمر تعليلا بيانيا، ولاحظ فيه مراعاة فواصل الآيات، لأن فواصل الآيات بالألف المقصورة، فالفواصل قبلها العزى الأخرى، الأنثى.. فجيء بكلمة (ضيزى) مراعاة لهذه الفواصل، ولو جاءت الآية الأخرى، لاختل الإيقاع، وتأثر نظام الفواصل.[5] وتعليل (ابن الأثير) لطيف ومقبول يراعي الفواصل، ويبين إيقاعها الحسن وانسجامها الصوتي الجميل، لكنه تعليل لفظي خالص، لم يلتفت إلى معنى الكلمة وجاء الأديب (مصطفى صادق الرافعي)، فأضاف إلى تعليل ابن الأثير اللفظي الظاهري تعليلا آخر لطيفا أيضا، لاحظ فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى وتناسبه للسياق.

1- عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، دار المريخ، الرياض، 1983، ص 15-16.

2 - سورة النجم: الآية 19- 22.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008، ص 547.

4- المفردات مرجع سابق، ص 513.

5- ابن الاثير، المثل السائر، ج 1، الحلبي، مصر، 1939، ص 229.

2- روعة معاني ألفاظ القرآن:

معاني القرآن دقيقة وفي غاية الروعة، وسمو البيان، وبذلك يتكامل اللفظ والمعنى، ويلتقيان على تحقيق بلاغة البيان القرآني المعجز.

ويتجلى تناسق ألفاظ القرآن مع السياق الذي وردت فيه، وتلتقي مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية.

فالسياق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب، المناسب بحروفه وجرسه، وإيقاعه، والمناسب بمعناه المتفق عليه مع معاني الألفاظ الأخرى مجتمعة.

مثال من القرآن: اسمان لأم القرى بكة ومكة:

ومن الأمثلة على روعة معاني ألفاظ القرآن اسم بلد الله الحرام (أم القرى) في القرآن. لقد أطلق القرآن عليها اسمين: "مكة" و"بكة"، لما سماها مكة أراد معنى "الملك"، ولما سماها بكة أراد معنى "البك" وسماها بكة في سياق لا يصلح فيه تسميتها مكة.

اسماها القرآن "بكة" في سورة آل عمران، بينما أسماها "مكة" في سورة الفتح.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ الَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾.[1]

بكة مشتقة من (البك) ولم ترد هذه المادة إلا في هذا الموضع من القرآن.

قال الإمام الراغب بكة هي مكة، وسميت بذلك من التباك، وهو الازدحام، لأن الناس يزدحمون فيه للطواف.

وقيل: سميت مكة بكة أنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم.[2]

إذن سميت (بكة) لأنه لوحظ في هذا الاسم معنى الازدحام والازدحام أوضح ما يكون في موسم الحج، حيث يزدحم الحجاج ازدحاما شديدا للطواف والسعي والسياق هو الذي دفع للعدول عن اسم (مكة) إلى (بكة) ولا يصلح أن يقول في سورة آل عمران (مكة) لأن المراد في سورة آل عمران هو معنى البك والازدحام.

إن السياق في السورة هو في الحج، فالآية التالية تحدثت عن وجوب الحج على المسلمين ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾.[3] الحجاج يتباكون في (بكة)، يبك بعضهم بعضا، ويزحم بعضهم بعضا فيها حول الكعبة أما (مكة) فقد وردت مرة واحدة في القرآن، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيهِم وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾.[4]

---

[1] - سورة ال عمران: الآية 96.

2 الراغب الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 140

[3] - سورة ال عمران: الآية 97.

[4] - سورة الفتح: الآية 24.

وأطلق عليها في سورة الفتح (مكة) وليس (بكة) لأنه الاسم المشهور لها، ولأن سورة الفتح كانت بشارة بقرب فتح مكة، حيث تم فتح مكة بعد أقل من سنتين من نزول سورة الفتح. لماذا سميت (مكة)؟ لأنها مشتقة من (الملك)، والملك هو الامتصاص، يقال مك العظم: إذا امتص مخه، ومك الفصيل ضرع أمه إذا مصه وشربه. وسميت (مكة) بذلك لأنها تمك ذنوب الحجاج التائبين وتمتصها وتذهبها.

فمن روعة معاني ألفاظ القرآن أنه عبر باسم (مكة) في سورة آل عمران، واسم (مكة) في سورة الفتح، وهما اسمان قرآنيان لبلد الله الحرام.[1]

-3- جاذبية إيقاع القرآن

للبيان القرآني المعجز (إيقاع) جذاب مؤثر، وهذا الايقاع الأخاذ يدخل أذن السامع فيؤثر فيه، إذ يتفاعل وينشط ويهتز ويخشع.

وقد ذكر (سيد قطب) أن عناصر الايقاع الموسيقي في القرآن خمسة:

- ❖ مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.
- ❖ تناسق الايقاعات بين كلمات الآيات.
- ❖ اتجاهات المد في الكلمات.
- ❖ اتجاهات المد في نهاية الفاصلة في الآيات.
- ❖ حرف الفاصلة القرآنية ذاته.[2]

-4- جمال التصوير في القرآن

إن البيان القرآني المعجز يستخدم طريقة التصوير في التعبير عن مختلف موضوعاته، وهذا التصوير جميل حيوي مؤثر، يضفي على البيان القرآني جمالا وحيوية، وروعة وجاذبية.

ومعنى التصوير هو أن القرآن يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة، فعندما يقرأ القارئ الآية ترتسم في خياله صورة فنية مجسمة متخيلة للموضوع الذي تتحدث عنه الآية والتصوير القرآني إما أن تعرضه صور الألفاظ وإما أن تلقيه ظلال تلك الألفاظ.

1- فاضل السامرائي. التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط 4، 2006، ص 173-174.

2- سيد قطب التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص 85.

– مثال من القرآن: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فوق رؤوسهم الحميم، يصهر بِهِ مَا فِي بُطُونِهِم وَالجُلُودُ، وَلهُم مَّقَامعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾.[1]

تعرض هذه الآيات مشهدا من مشاهد عذاب الكفار في النار يوم القيامة، وهو مشهد مصور مؤثر.. ويرى القارئ مشهدا تصويريا للنار، والكفار داخلها، وتتابع اللقطات والمناظر والصور في خياله يرى الكفار، ويسمع ما يقولون، وما يقال لهم، ويلحظ مظاهر الألم والحزن على ملامحهم، وهم وسط النار مقدمون على ألوان جديدة من العذاب.[2]

–5– سمو نظم القرآن:

نظم القرآن نظم سام حيوي مشرق بليغ، وهذا النظم يجمع العناصر الأربعة السابقة وينسق بينها: الألفاظ ومعانيها، وإيقاعها وصورها.

والنظم كما يراه (عبد القاهر الجرجاني) هو توخي معاني النحو وأحكامه بين كلمات الجملة القرآنية، وهذا يؤدي إلى حسن ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كل كلمة في مكانها المناسب نحويا وبلاغيا.

وفي تحليله اللطيف للنظم القرآني السامي في آية من القرآن يقول (الجرجاني): "وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِي وَقِيلَ بعدًا للقوم الظالمين**﴾.[3]فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلام بعضه ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقرها إلى أخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها؟

إن شككت فتأمل هل ترى لفظة بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل ابلعي" واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

---

[1] – سورة الحج: الآية 19–22.

2– علوم القرآن وزارة التربية والتعليم، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 2008، ص 103.

[3] – سورة هود: الآية 4.

وكيف بالشك في ذلك؟ ومعلوم ان مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض. ثم أمرت. ثم في أن كان النداء بحرف "يا"، دون "أي" نحويا أيتها الأرض.. ثم إضافة الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال ابلعي الماء. ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها – نداء السماء، وأمرها كذلك بما يخصها: "ويا سماء أقلعي". ثم أن قيل: "وغيض الماء" فجاء الفعل على صيغة "فعل" (بضم الفاء) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر وقدرة قادر.. ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى " وقضي الأمر".. ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو قوله تعالى" واستوت على الجودي.. ثم إضمار "السفينة " قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة، والدلالة على عظم الشأن.. ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة ب "قيل" في الفاتحة. أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عن تصورها هيبة، تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟

فقد اتضح اتضاح لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة المعنى التي تليها.[1]

رابعا: دراسات معاصرة للإعجاز البياني في القرآن:

– مصطفى صادق الرافعي وهو أول من ألف كتابا في "إعجاز القرآن من المعاصرين في كتابه: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية".

– د. محمد عبد الله دراز في كتابه: "النبأ العظيم".

– سيد قطب، في كتابه " التصوير الفني في القرآن" وفي كثير من دراساته.

– د. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ – في " التفسير البياني للقرآن" و"الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق".

– الشيخ محمد متولي الشعراوي في دروسه العامة في التفسير وهي متلفزة.

– د. فاضل صالح السامرائي في "التعبير القرآني" و"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل".

1– عبد القادر الجرجاني، دلائل الاعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت)، ص 45-46.

المحاضرة الرابعة عشر (14): الإعجاز الإخباري والتشريعي

أولا: الإعجاز الإخباري

إنّ من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: إخباره عن المغيبات وهي تلك الاختبارات المتعلقة بأحداث مقبلة، والتي لم يظهرها بعد أي شاهد من العقل أو الحس أو الدلائل التي تعود الإنسان على الاعتماد عليها سواء تعلقت هذه الأخبار بأحداث عامة، أو تعلقت بأناس أو فئات بأعيانهم أو تعلقت بنواميس كونية.[1]

ففي القرآن آيات كثيرة أخبرت عن أحداث ستقع في زمن مقبل، وفيه آيات تحدثت عن مصائر الناس بأعيانهم، وفيه نصوص تقرر قوانين ثابتة بالنسبة لكثير من المظاهر الكونية المحيطة بنا. وقد جاء الزمن فيما بعد بمصداق هذه الأخبار كلها، دون أن يكون عليها شاهد من قبل، من حس أو عقل أو أي بيئة من البينات وهذا دليل قاطع على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، إنما هو كلام علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية ولو كان من صنع محمد – كما زعموا – لظهرت علائم الوضع في تلك الأخبار الغيبية بوقوعها على خلاف ما أخبروا لأفتضح أمره بالكذب الصريح، وحاشاه علا الله من الكذب على الله.[2]

❖ **أمثلة من القرآن**

1- إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس، وستكون الغلبة فيها والانتصار للروم بعد أن انكسروا في الحرب السابقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ألم غَلَبَتِ الروم، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عليهم سيغلبون**﴾.[3]

2 – التنبؤ بدخول الرسول وأصحابه مكة آمنين مطمئنين، روي أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى رؤيا في منامه وذلك قبل خروجه إلى الحديبية، رأى كأنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا، وقصروا، فقص الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وحسبوا إنهم داخلوها من عامهم وقالوا: إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، فلما كان صلح الحديبية خرجوا من المدينة محرمين يسوقون الهدي إلى مكة لا يقصدون حربا، وإنما يقصدون العمرة والنسك، ولكن قريشا صدتهم، و كادت تقع الحرب بين المسلمين والمشركين لولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم رضي معهم بالصلح إيثارا منه للسلم وحبا للسلام العام. وكان من شروط ذلك الصلح أن يرجع الرسول ومن معه من ذلك العام على أن يدخلوا مكة في العام القابل، واتخذ المنافقون ضعفاء الإيمان من ذلك سبيلا إلى الطعن والدس واللمز، حتى قال رئيس المنافقين (عبد الله بن أبي): "والله ما حلقنا، ولا قصرنا، ولا رأينا

1- رمضان البوطي من روائع القرآن مرجع سابق، ص 148

2- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن مرجع سابق ص.119

3 – سورة الروم: الآية 1-2.

المسجد الحرام"، ولكن نزلت الآية الكريمة تحمل تلك الوعود الثلاثة المؤكدة وهي: دخول مكة وأداء النسك والأمن من قريش، على رغم ما هو معروف من غدر قريش ونكثهم العهود وتقطيعهم الأرحام، وقد أنجز الله وعده فتم الأمر، ودخل المؤمنون مكة آمنين مطمئنين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**﴾.[1]

-3- التنبؤ بإظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾.[2]

وكذلك التنبؤ بالمستقبل الباسم الذي سيكون للمؤمنين[3]، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وعد الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِنَنَّ لهُمْ دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم مِن بعدِ خوفِهِم أَمنا يعبدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.[4]

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي، فأظهر الله الإسلام على جميع الأديان، ومكن للمسلمين في الأرض في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى استولوا على جميع البلاد العربية، ولم يبق جزء منها إلا دان للمسلمين بالطاعة ومن لم يدخل في الإسلام دخل في ذمة المسلمين، وخضع لسلطانهم، ودفع الجزية لهم، ثم سار أصحابه من بعده إلى أرض كسرى، وأرض هرقل، فأزالوا دولة الفرس ودولة الروم، ولم يمض قرن من الزمان حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فصارت تمتد من بحر الظلمات في المغرب إلى تخوم الصين في المشرق، فتحقق بذلك الوعد الكريم وكان وعد الله مفعولا.

ثانيا: الإعجاز التشريعي

إن القرآن الكريم جاء بتشريع معجز يدل على أنه تنزيل من الله ووحي منه تبارك وتعالى وذلك من أوجه.

❖ أن الشريعة الاسلامية جاءت على لسان رجل أمي في أمة أمية تعيش الحياة القبلية، لا يخط على بال أحد منهم انتظام أول التزام بقانون عام أو نظام خاص.

---

[1] – سورة الفتح: الآية 27.

[2] – سورة الصف: الآية 9.

3 –الزمخشري الكشاف مرج سابق 3/252.

[4] – سورة النور: الآية 55.

❖ إنه تشريع شامل وكافل لإحقاق الحق، وصيانة مصالح الناس في جميع شؤونهم المالية والاجتماعية والأسرية والدولية.

❖ أنه فاق كل قانون بشري حتى أقرت المجامع الدولية الفقه الاسلامي مصدرا أساسيا تقتبس منه القوانين.[1]

إن التشريع الإلهي يمتاز بالكمال والسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر، في القديم، والحديث فالقرآن هو الذي وضع أصول العقائد وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع الاقتصادي والسياسي والمدني والاجتماعي وهو الذي نظم حياة الأسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادئ الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في كل مكان، وزمان وهي: المساواة الحرية، العدالة.. إلى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتشريع التي تسعى إليها المدنية الحديثة.

ففي العقائد دعا القرآن إلى عقيدة طاهرة سامية واضحة جلية، عمادها الإيمان بالله وحده والملائكة وجميع الرسل والكتب واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾.[2]

وفي العبادات جاء القرآن بأسس العبادات ودعائمها فشرع الصلاة والصيام، والزكاة والحج وسائر أعمال البرّ والعبادة في الاسلام تشمل كل عمل خير إذا كان لوجه الله وبالطريقة المشروعة.

وفي أمر المعاملات حرم القرآن أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾.[3]

ودعا إلى الإشهاد عند إبرام البيع وبكتابة الدين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ فاكتبوه وليكتب بينَكُمْ كَاتِبُ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَيُمْلِلِ الذي عليه الحق وليتقِ اللَّهَ رَبه**﴾.[4]

وفي الامور الجنائية شرع القرآن الحدود، وأوجب تنفيذها، حماية للمجتمع من الفوضى والاضطراب وتأمين الأمة على حياتها ومستقبلها وأموالها وأعراضها لتعيش الحياة الكريمة السعيدة التي لن تكون إلا عن طريق الأمن والاستقرار وقد نص القرآن الكريم على أمهات الجرائم، وأعظمها خطرا على مستقبل الفرد والجماعة ووضع لكل واحدة منها عقوبات مقدرة، لا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها، أو التساهل فيها وترك ما سوى ذلك

---

1 – محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، (دن)، ص 95.

[2] – سورة البقرة: الآية 285.

[3] – سورة النساء: الآية 29

[4] – سورة البقرة: الآية 282

من الجرائم الخفيفة للحاكم المسلم، ينفذ فيها ما يراه من العقوبة، على ضوء السنة النبوية المطهرة، وبالشكل الذي يحقق مقاصد الشريعة. وتتمثل هذه الجرائم الكبرى في القتل الزنى، السرقة، قطع الطريق القذف. وقد ترك التشريع الإلهي القرآني أثرا عظيما في نفوس العرب، حيث قضى على كل فساد، واستأصل كل جريمة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

❖ **أمثلة من واقع الحياة في** سمو الشريعة الاسلامية على بقية النظم فيما يلي:

- منذ زمن قريب حرمت (أمريكا) الخمر، ولكنها فشلت ولم تنجح لأنها لم توفق إلى الطريقة الحكيمة التي اتبعها الاسلام في تحريم الخمر، فعادت إلى إباحته مع اعتقادها بضرره الفادح.
- أباحت بعض الدول الغربية الطلاق بعد أن كان ممنوعا لديها بسبب تعاليم الكنيسة، ولكنها أسرفت فيه إلى درجة ضارة.
- مصلحو أوربا يرفعون أصواتهم بضرورة السماح بتعدد الزوجات، حتى بعض نسائهم طالبن بذلك لكثرة العوانس من النساء لتفاقم المشكلة وآثارها الخطيرة على المجتمعات الغربية.
- ازدياد الجرائم في المجتمعات الغربية رغم العقوبات الصريحة إلى درجة الاعدام، وواسع انتشار العصابات الخطيرة التي تهدد أمن البلاد وسلامة العباد، وذلك من أعظم البراهين على فشل النظم الوضعية، والتشريعات البشرية. أما التشريع الاسلامي فقد حقق الأمن والسلام، وقضى على الجريمة في مهدها، مما أنتج مجتمعات آمنة وحضارة راقية رائدة.[1]

1- محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص 117-118.

الخاتمة

يعتبر تدريس مادة علوم القرآن الكريم شرف كبير للأستاذ والطالب وما هذه الدروس والمحاضرات إلا جهد قليل مقارنة بالكم الغزير والهائل الذي تزخر به المكتبات في هذا المجال، حيث يمكن أن نستخلص منها بعض النتائج المهمّة، كالتالي:

1- إنّ للقرآن الكريم منزلة عظيمة، وقدسيته، وفضله على البشرية جمعاء.

2- اهتمام المسلمين الكبير للقرآن الكريم منذ نزوله إلى يومنا هذا بشتى الصور والوسائل.

3- التنوع الهادف والنافع للأبحاث والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

4- إن دراسة القرآن الكريم من كل الزوايا معين وآفاقه مفتوحة.

5- يجب الاهتمام والعناية بالقرآن الكريم من كل جوانبه.

وفي الأخير لا أدعي أن هذا العمل بلغت فيه الكمال، وحسبي أن قدمت فيه جهد المقل وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله رب العالمين.

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، 1999.
2. ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تح محمد بدر الدين النعاسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1908.
3. ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
4. ابن منظور، لسان العرب، ط1، ج5، دار صادر، بيروت، 2010.
5. أمير عبد العزيز، إعجاز القرآن، ط1، جامعة النجاح، فلسطين، 2007.
6. الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج1، ط1، دار طيبة، القاهرة، 2006.
7. إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة 1968.
8. الامام أحمد، مسند الامام أحمد، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2009.
9. أحمد بن فارس أفراد كلمات القرآن العزيز، تح حاتم الضامن دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2002.
10. ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط).
11. ابن الجني، الخصائص عالم الكتب، بيروت، ط3، ج1، 1982.
12. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر المطبعة التجارية الكبرى، 2009.
13. ابن تيمية، مجموع الفتاوى الكبرى، ج13، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف السعودية، 1995.
14. أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة للقراءات، دار المنارة جدة، 1997.
15. ابن جني المحتسب، مطابع الأهرام، القاهرة، ط1، 1994.
16. أبو داود، صحيح سنن أبي داود، تح: الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1998.
17. أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001.
18. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، دار المعرفة، بيروت، 2004.
19. أحمد محسن خلف التفسير اللغوي عند ابن جني الجامعة المستنصرية العراق 2014.
20. ابن عاشور التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، 1984.

21. ابراهيم لقان، محاضرات في علوم القرآن المركز الجامعي، ميلة 2009.
22. ابن الاثير المثل السائر، ج1، الحلبي، مصر، 1939.
23. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، المطبعة السلفية، القاهرة، 2015.
24. الأزهري، تهذيب اللغة، ط1، ج9، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001.
25. بن عبد الله واسيني، محاضرات في مادة علوم القرآن، جامعة المسيلة، 2013
26. البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2002.
27. بن عبد الله واسيني محاضرات في مادة علوم القرآن، جامعة المسيلة، 2012/2013
28. الجرجاني، التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، 2010.
29. الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت (دن).
30. جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ط الحلبي، مصر، 1957.
31. وزارة التربية والتعليم، علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 2008.
32. 32- الزمخشري، الكشاف، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
33. الزرقاني مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995.
34. الزركشي، البرهان في علوم القرآن تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.
35. الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، دار السلام، القاهرة 2015.
36. الزبيدي، تاج العروس، ج7، طبعة الكويت 2008.
37. الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993.
38. الحسين زروق، جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة 2013.
39. طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان، تح أبو غدة، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1331هـ.
40. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تح عبد الحليم النجار، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1977.
41. لويس معلوم، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط19، 1988.

(م)

42. مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، 2002.

43. محمد علي رضا الاصفهاني، مناهج التفسير واتجاهاته، دراسة مقارنة، مركز الحضارة، بيروت، ط8، 2011.
44. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، (دت).
45. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، (دن).
46. محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، مكتبة رحاب الجزائر، 1986.
47. محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2003.
48. موريتز، مجموعته المصورة (الباليو جرافية العربية)، لوحه 17.
49. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995.
50. محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، مكتبة رحاب الجزائر، 1986.
51. مساعد بن سليمان الطيار، أنواع التصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ط3، دار ابن الجوزي القاهرة 1434هـ.
52. محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، دار البعث، قسنطينة 1986.
53. محمود عبد الوهاب فايد التربية في كتاب الله، دار الاعتصام، القاهرة، 1978.
54. محمد شعبان صلاح، مواقف النحاة من القراءات القرآنية، دار غريب القاهرة، ط1، 2005.
55. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008.
56. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم دمشق ط1، 1412هـ.
57. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح فؤاد علي منصور، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
58. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق القاهرة، 2004.
59. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 2010.
60. السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ط1، ج2، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2010.
61. عبد الفتاح القاضي، من علوم القرآن الكريم، ط1، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 2000.
62. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، العقيدة الاسلامية، وأسسها، ط15، دار القلم، دمشق، 2010.
63. عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2002.

64. عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية دار الغرب الإسلامي 1999.
65. عبد الحي الفرماوي، مقدمة تفسير الجلالين، دار التوزيع والنشر الاسلامية القاهرة.
66. عبد القادر الجرجاني، دلائل الاعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت)
67. عائشة عبد الرحمان، الاعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، 2004.
68. عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، دت، ط7.
69. وزارة التربية والتعليم، علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008.
70. فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، ط1، دار النفائس، بيروت، 2007.
71. فاضل السامرائي. التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006.
72. فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، الشارقة، 2002.
73. فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك، القاهرة، 2006.
74. صلاح الدين المنجد دراسات في تاريخ الخط العربي دار الكتاب الجديد، لبنان، 1979.
75. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006.
76. القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات وزارة الأوقاف السعودية، 1434هـ.
77. الرازي، التفسير الكبير، ج3، دار الفكر دمشق: 1981.
78. الرازي، مختار الصحاح، تح محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1995.
79. الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006.
80. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ.
81. الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1976.
82. شكري عباد، الرؤيا المقيدة، ط1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
83. شهاب الدين الخيري، التبيان في تفسير غريب القرآن، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1423هـ.
84. شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، ج2، ط24، دار المعارف، القاهرة، 2014.
85. الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج5.
86. الترمذي سنن الترمذي، ج10. تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
87. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح دمشق، 1993.

88. غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن، ج1، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988.

89. يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2000.

الرسائل الجامعية

90. جملات عيد محمدو أبو ناصر، لفظة القرآن في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية غزة 2011.

91. توفيق أو سهلة طرق التفسير في المعجم الوسيط، مذكرة ماستر جامعة تلمسان، 2014.

92. عبد العزيز ثابت، مذكرة في علوم القرآن لطلبة السنة الأولى، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 2016/2017.

المجلات

93. يوسف ولد النبية، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم تفسير فاضل صالح السامرائي نموذجا مجلة الممارسات اللغوية، مج 11 ع 03، جامعة تيزي وزو، 2020.

مواقع الأنترنت

94. موقع Al-qaradawi.net تاريخ النشر: 2/06/2019.